

مكتب إلكتروني
www.helmelarab.net

مكتبة
www.helmelarab.net

العاصفة التوربينية

100



www.helmelarab.net

في مكان ما من أرض (مصر) ، وفي حقبة ما من حطب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية . يدور العمل فيها في هدوء تام ، وسرية مطلقة ؛ من أجل حماية التقدم العلمي في (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التي هي المقاييس الحقيقي لتقدم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجال المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره في عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدى الغموض العلمي ، والألغاز المستقبلية .. إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصلة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

١ - هجوم ..

الجمعة : الحادي عشر من مايو .. الرابعة والربع عصراً ..

قطع الدكتور (ناظم) ، رئيس إدارة الأبحاث التابعة لجهاز المخابرات العلمية المصرية ، ذلك الممر الطويل ، في الطابق الثالث تحت الأرض ، من مبنى الجهاز ، في خطوات واسعة سريعة ، حتى بلغ منطقة خاصة ، يشير الشعار عند مدخلها ، مع الشريط الأحمر الرفيع ، إلى أنها منطقة محظورة ، إلا لعدد محدود من العاملين ، الذين تحمل بطاقات هويتهم نفس الشعار ، مع الشريط الرفيع ، فتوقف عند المدخل ، ودرس بطاقته في تجويف رفيع ، ولم يعد يفعل ، حتى بدأ الجزء المتبقى من الممر في التحرك في بطنه ، في اتجاه حجرة القائد الأعلى في نهايته ، فانتزع الدكتور (ناظم) بطاقته ، ودسها في جيبه ، وهو يخطو إلى ذلك الجزء ، الذي جعله نحو الحجرة ، في نفس الوقت الذي انبعثت فيه عدة خيوط

رفيعة من أشعة النيز ، من ثقب صغيرة في السقف
والجدران ، راحت تمسح وجه الدكتور (ناظم)
وجسده ، في سرعة ودقة بالفتن ، قبل أن ينبعث من
مكان ما صوت ألى ، يقول :

- تم تعرف الدكتور (ناظم) .. الدخول متاح ..
شكرا لاستجابتكم لنظام الأمن الجديد .

الفتح باب حجرة القائد الأعلى ، في تلك اللحظة ،
في حين توقف ذلك الجزء من الممر عن الحركة ،
فدلف الدكتور (ناظم) إلى الحجرة ، قائلا في
حماس :

- لقد حصلت على معلومات بالغة الأهمية ، بخصوص
(طارق) .

بدا الاهتمام البالغ على وجه القائد الأعلى ، وهو
يستقبله ، قائلا :

- هات ما لديك يا رجل .

جلس الدكتور (ناظم) على المقعد المقابل لمكتب
القائد الأعلى ، وهو يخرج ورقة مطبوعة من جيبه ،
ويقول :

- ذلك الشاب كان يعمل كخبير طاقة ، في جهاز

الأمن الخاص برياسة الجمهورية ، بعد الاحتلال
مباشرة (*) .

ارتفع حاجبا القائد الأعلى ، وهو يقول :

- رباه ! إنها معلومة بالغة الأهمية بحق .

ثم عاد حاجباه يلتقيان في توتر ، مع استطراده :

- ولكن كيف تم يتم كشف هذا الأمر ، عندما التحق
الشاب بالعمل لدينا ؟! المفترض أن تكون لدينا كل
المعلومات الخاصة به ، قبل أن يشترك في مشروعات
بالغة الخطورة والسوية كهذه ..

وترداد انعقاد حاجبيه في غضب ، وهو يضيف :

- هذا تقصير رهيب يا دكتور (ناظم) ، ولابد من
عقاب المسؤولين عنه بملتهى القسوة والصرامة .

ثم مال إلى الأمام ، متابعا في حدة :

- ماذا لو أن جاسوسا سعى للتسلل إلى صفوفنا ؟
بل وماذا لو أن (طارق) هذا نفسه جاسوس خطير ،
يعمل لحساب جهة أجنبية ؟! هل كنا سنقتل في
الحصول على معلومة بالغة الأهمية كهذه عنه ، حتى
يحصل على ما ينبغي ؟!

أشار الدكتور (ناظم) بيده ، قائلاً :

- رويدك أيها القائد .. لم يكن هناك تقصير أو إهمال في هذا الشأن .. لقد تحرى الرجال عن (طرق) بعمليتي الدقة ، عند ترشيحه للعمل معنا . ولكن لم يكن بإمكانهم التوصل إلى هذه المعلومة حينذاك ، فلم تكن متاحة على شبكة المعلومات العامة أو السرية .

قال القائد الأعلى في غضب :

- ولتلك نجحت في الحصول عليها الآن .

تفهد الدكتور (ناظم) ، قائلاً :

- الأمر الآن يختلف كثيراً .

ثم نهض من مقعده ، وتابع في اهتمام ، وهو يتحرك في الحجرة :

- تلك المعلومة كانت تتدرج تحت بند السرية البالغة ، داخل الشبكة المحدودة لجهاز أمن الرئيس السابق ، نظراً لاستقلالية جهاز أمن الرئاسة ، وتبعيته المباشرة لرئيس الجمهورية ، وطبقاً للقانون الخاص بحماية المعلومات ، والذي صدر بعد جلاء غزاة الفضاء ، ونجاحنا في استعادة كل معلوماتنا

وتاريخنا (*) ، ولهذا لم يكن من الممكن أن يتوصل إليها الرجال ، مهما بذلوا من جهد ، أما الآن ، ولأننا نعيد البحث ، في إطار من الشك ، فقد حصلت على موافقة محدودة ، لربط شبكة معلوماتنا بالشبكة المعلوماتية الواسعة ، عسى أن أجد لديهم ما يفوق ما لدينا .

وفرقع سيابته وإبهامه ، مضيقاً :

- وهذا ما حدث بالفعل ،

أوما القائد الأعلى برأسه متفهماً ، وهو يتراجع في مقعده ، وعقله ينطلق مسترجعاً ذكريات قريبة للغاية .
ذكريات بضع ساعات مضت ..

منذ تلك اللحظة ، التي استقبل فيها الدكتور (ناظم) في مكتبه ، الدكتور (فؤاد راغب) ، عالم أبحاث الخلية المعروف ، الذي جاء لي طرح بحثاً مدهشاً ، حول عقار جديد ، يجعل الخلايا البشرية قابلة للشحن بالطاقة النووية ، وقادرة على تخزينها ، وتحويلها إلى صور أخرى من الطاقة ..

(*) راجع قصة (كلز الفضاء) .. المغامرة رقم (٨٤) .

وبعد أن طرح الرجل نظريته ، وأخرج عينة العقار
من حقيبتة ، ليقدّمها للدكتور (ناظم) ، فوجى بأن
أحدهم قد استولى على عقاره ، واستبدل به بعض
الماء الملون ، فهاجمته أزمة قلبية حادة ، وهوى
جثة هامدة ..

وبعدما مباشرة ، بدأت الأحداث العنيفة ..

مساعدة الدكتور (فؤاد) الذى يحمل اسم (غبريال) ،
احتال لدخول حجرة الطاقة ، التابعة لقسم العلاج
النووى بالمستشفى المركزى ، وشحن جسمه بالطاقة ،
وقضى على مهندس الوحدة ، وكل الطاقم الفنى ..

وعلى الرغم من أن (نور) و (أكرم) كانا فى
المكان بالفعل ، إلا أنهما عجزا عن التصدى لذلك
الخصم الخارق ، الذى نسف جدران المكان ، قيل أن
يختفى تماما ، وكأنما انشقت الأرض وابتلعتها بغثة ..
ثم بدأت الاغتيالات الوحشية المخيفة ..

التعدى النووى الخارق اغتال النائب العام السابق ،
وزيد الخارجية الأسبق ، ومدير المخابرات العامة
الحالى ..

فعل كل هذا بقوته الرهيبة ، مطيحا بكل ما .. ومن
يعترض طريقه ، وراح يمزق ضحاياها بلا رحمة أو
هوادة ..

وبكل همة وتشاط ، راح (نور) وفريقه يسعون
لكشف حقيقة خصمهم الخارق ، والبحث عن هويته
الحقيقية ، بعد أن كشفوا أنه ليس (غبريال) الحقيقى ،
وأنه يرتكب كل ما يرتكبه ، فقط للثأر من ضحاياها ،
بسبب أمر لم يمكنهم التوصل إليه بعد ..

واستكمالاً للفريق ، ضم إليه (نور) خبيراً جديداً
فى الطاقة وعلوم الأشعة ، وهو المهندس (طارق) ،
الذى بهر الجميع بمهاراته المختلفة ، وقدراته
المدهشة ، وبراعته فى الحركة والقتال ، وعبقريته
فى التخطيط والمناورة ، إلى الحد الذى أثار حسد
(أكرم) وتوتره ، ودفعه إلى الاشتباك معه عدة
مرات ، قبل أن يعترف بفوقته ، ويقرر نقله من خاتمة
الصراع إلى قلعة الأصدقاء ..

ووسط كل هذا ، وفى أثناء مواجهة مباشرة سريعة
مع الخصم النووى ، تعرض (نور) و (أكرم)
و (طارق) إلى حادث سيارة عنيف ، نجا منه الأخيران

في صعوبة ، في حين أصيب (نور) إصابة شديدة ،
وفقد وعيه تماماً ..

وكان من الضروري أن يتم تعيين قائد جديد للفريق ،
حتى يواصل الصراع ؛ لإيقاف ذلك الخصم النووي ،
ومنعه من مواصلة رحلة الثار الزهية ..

ووقع اختيار القائد الأعلى على (طارق) ..

ولكن الدكتور (ناظم) لم يعلن ارتياحه لهذا الأمر .
بل وأعلن أن أعماله تكتظ بعشرات الشكوك ،
ونقاط الغموض ، حول هذا الشاب بالذات ..

لذا ، فقد تراجع القائد الأعلى عن قراره ، وانتخب
(رمزي) لقيادة الفريق ، في نفس الوقت الذي طلب
فيه من الدكتور (ناظم) جمع كل التحريات الممكنة
عن (طارق) ، و ..

« كيف انتهت خدمته في أمن الرئاسة ؟ »

فقل السؤال إلى ذهن القائد الأعلى بفتة ، قاطعاً
تسلسل أفكاره ، فنقله بسرعة إلى لسانه ، وهو يتطلع
في اهتمام إلى الدكتور (ناظم) ، الذي صمت لحظات ،
قبل أن يجيب في حزم :

- لقد تم فصله من العمل

لوتفع حاجباً القائد الأعلى في دهشة ، وهو يهتف :
- فصلة ١٥

أوما الدكتور (ناظم) يرأسه إيجاباً ، وقال :

- نعم يا سيدي .. تم فصله لسخافته قوايين المصرية
المطلقة ، وتجاوزته الحدود المسموح بها في هذا
الشان -

تواصلت دهشة القائد الأعلى لبضع لحظات ، ثم لم
يلبث حاجباًه أن اتخفصاً ، ثم واصل طرقاتهما
التخفاضهما ، حتى التقيا على نحو يشق عن التوتر
الزائد ، وهو يمح شفتيه ، قائلاً :

- يبدو أن الأمر أخطر مما ينبغي يا دكتور (ناظم) -
ثم زفر في حدة ، قبل أن يتابع :

- وأما لن تستعيد شعورنا بالارتياح قط ، إلا بعد
عودة (نور) لقيادة الفريق -

وافق الدكتور (ناظم) بإيماءة من رأسه ، مقملاً :
- بالتأكيد -

لم يكن تلاحماً يدري ، في تلك اللحظة ، أن (نور)
ما زال يوقد فاقد الوعي ، في قسم رعاية الحالات
الحرجة ، في المستشفى المركزي ، وإلى جواره

تجلس زوجته (سلوى) ، فى انتظار عودته إلى
وعيه ..

وأن المستشفى يتعرض للهجوم ..

هجوم رهيب ، من ذلك الخصم النووى ..

والأخطر أن ذلك الهجوم يستهدف المقدم (نور
الدين محمود) ..
شخصاً (*) ..

* * *

تفجرت موجة هائلة من الوعب والفرع ، فى
المستشفى المركزى ، مع دوى الانفجارات المتتابع ،
والتيارات التى راحت تشتعل فى أماكن شتى ، بالطابق
الأرضى ، وراح الجميع يتدافعون فى الممرات
والطرق ، فى محاولة للفرار من خطر داهم ، تمثل
فى ذلك العدو النووى ، الذى أخذ يشق طريقه بآثار
والدم ، نحو الطابق الثانى من المستشفى ، حيث قسم
رعاية الحالات الحرجة ، الذى يرقد فيه (نور) فاقد
الوعي ..

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الأول (العدو الخارق) ..
المقاسم رقم (١١٥) ..

وكرد فعل تلقائى ، بدأت أجهزة مقاومة الحريق فى
العمل ، وانطلقت رشاشات المياه فى الأسقف ، لتفمر
كل شيء ، فى حين أجرى الكمبيوتر اتصالاتاً فورياً
برجال الإطفاء ، وأقرب نقطة شرطة ..

وفى الطابق الثانى ، تعلقت عينا (سلوى) بشاشة
مراقبة ، تنقل ما يحدث فى الطابق الأرضى من عنف
وممار ، وارتجف جسدها فى عنف ، وسرت فيه
قشعريرة باردة كالتلج ، وهى تتمتم :

- يا إلهى ! (نور) !!

شيء ما فى أعينها أنبأها بأن كل هذا يستهدف
زوجها (نور) ..

(نور) وحده ..

ونفس الشيء أخبرها ، أن ذلك النووى يتعمد
إعلان وجوده هذه المرة ..

وعلى نحو سافر ..

إبه لم يحاول حتى إحاطة نفسه بذلك الضوء
الساطع ، الذى يبهر خصومه ، ويمتصهم من تحديد
هويته ..

ولكنه يتحرك هذه المرة كالعاصفة ..

ويطرح بكل ما يعترض طريقه ..

رجال الأمن ..

ممرضى المستشفى ..

وحتى المرضى ..

والجدران ..

وارتجف قلبها بين ضلوعها فى عصف ، ورددت
مرة أخرى ، وهى تتلفت حولها فى ارتياح :

- رباه ! (نور) !! (نور) فى خطر !!

لم تكن تدرى ما الذى ينبغى عليها فعله ، إلا ناد
زوجها ، من مثل هذا الموقف ، لذا فقد راحت تتحرك
فى دعر ، فى كل الاتجاهات ، وهى تفرك عينيها ،
قائلة لنفسها ،

- لا يا (سلوى) .. لا .. لا تفقدى أعصابك ، فى
هذا الموقف .. حياة زوجك تعتمد على تماسك
وحسن تصرفك .. هيا .. ابحثى عن مخرج .. ابحثى
عن سبيل للفرار ، قبل أن يبلغك ذلك الوحش النووى
الأمسى ..

كان عقلها حائراً مضطرباً بشدة ، إلا أنه أدرك
حقيقة واحدة ..

هى أن أول ما ينبغى فعله ، هو إبعاد (نور) عن
قسم رعاية الحالات الحرجة ..

وفى توتر بالغ ، اندفعت نحو فراش (نور) ،
وجرت عيناها على الأسلاك والأبواب الرفيعة ، التى
تمتد من وإلى جسده ، وقالت فى طلع :

- يا إلهى ! ترى أى تلك الأشياء يمكن رفعها ،
دون تعريض حياته للخطر ؟!

لم يكن هناك شخص يمكن استشارته ، فى مثل
هذه الظروف ، لذا فقد راحت تتفرع عنه كل ما يعوق
حركة الفراش ، وهى تقول فى اضطراب :

- سامحنى يا (نور) .. هذا كل ما يمكننى فعله .
كان زوجها يرقد صامتاً مستسلماً ، غائباً عن
الوعى ، عندما أزلت كبايح إبطارات الفراش ، ودفعته
أمامها إلى خارج الحجرة ، وهى تلهث من فرط التوتر
والانفعال ، وأخذت تدعو به عبر ممرات القسم الخالية ،
ودوى الانفجارات يبلغها من الطابق الأول ، معلناً أنه
لم يعد يفصلها عن النووى سوى خطوات قليلة ..

وبكل دحرجة وارتياحها ، هتكت :

- رباه ! ماذا أفعل ؟! ماذا أفعل ؟!

واصلت عدوها عبر الممرات ، وهي تدفع (ثور)
وفراشه أمامها ، و ...

وانتهت فجأة إلى أن الانفجارات قد توقفت تماما .
بل ، لقد تلاشت كل الأصوات ، فيما عدا وقع أقدام
تصعد في درجات السلم ، إلى الطابق الثاني ، في بضع
وثلث قوى ..

وكان هذا يعني أمرا واحدا ..
لقد أزال النووى كل العقبات من طريقه ..
وها هو ذا يقترب ..

ويقترب ..
ويقترب ..
ولم يعد لديها ما تفعله ..
أو تفكر إليه ..

واقتراب وقع قدمي النووى ..
واقتراب ..
واقتراب ..

وفي ارتباك ، راحت تتلفت حولها ، هاتفة :
- ربة ! ماذا أفعل ؟! ماذا أفعل ؟!

وفجأة ، ومع آخر حروف كلماتها ، لمحت تلك
الحجرة ، في نهاية الممر ..
كانت الحجرة الوحيدة المفتوحة ، في الممر كله ،
ووقع قدمي النووى يوحى بأنه سيبلغ الطابق ، بعد
ثوان معدودة ، في ...

واندفعت (سلوى) بالفراش الصغير ، نحو تلك
الحجرة المفتوحة ، ودفعت الفراش داخلها ، وقفزت
خلفه ، لتتلقى الباب في إحكام ، في نفس اللحظة التي
بلغ فيها النووى الطابق ..

وبينما كانت تلهث في عنف ، داخل الحجرة المغلقة ،
التي لم تكن سوى مخزن عقاقير الطوارئ ، لتسم
علاج الحالات الحرجة ، كان النووى يدير عينيه في
المكان في بضع ، ثم يتجه نحو الحجرة ، التي كان
(نور) يراقب فيها منذ قليل ..

وبكرة نارية محدودة ، تسف باب الحجرة ، قبل أن
يقتحمها في عنف ، وعيناه تضيقان كمصباحين
ساطعين ..

ثم انعقد حاجباه في غضب ، عندما وقع بصره
على الحجرة الخالية ..

ويكل غضبه صرخ :

.. اللعة !

ومع صرخته ، انطلقت من قبضته كرة من النار ،
نسفت الجدار المقابل ، وأطاعت به في قوة ..
واندفع خارج الحجرة ، وهو يطلق صرخة غاضبة
أخرى ، مقتحماً الحجرة المجاورة ، التي كانت خالية
بدورها ، مما ضاعف من غضبه ، ودفعه لمسف
جدارها أيضاً ..

ومن مكنها ، داخل حجرة عقاقير الطوارئ ،
سمعت (سلوى) الانفجارات تتوالى ، من حجرة إلى
أخرى ، مع صرخات التوى الغاضبة الثائرة ..
وعلى الرغم من أيق سيارت الشرطة ، التي
بلغت مسامعها ، مختلطة بدوى الانفجارات ، إلا أنها
انغمست في مكاتها هلعة مذهورة ، مدركة أن
خصمها الخارق سيبلغها حتماً ..

وأنه لن يتورع عن نسف المستشفى بأكمله ، دون
أن يترك له جفن : ليلوغ ماريه ..

وفي غمرة مشاعرهما والفعالاتهما ، وعلى الرغم من
معرفة أن الفريق يجتمع الآن في مكان بعيد للغاية



واندفعت (سلوى) بالفراش الصغير ، نحو تلك الحجرة
المتوحدة ، ودفعت الفراش داخلها ، وقفزت خلفه

عنها، وأنه من المستحيل أن يتمكن رفاقها من الوصول إليها، قبل أن يبلغها النوى . إلا أن سبابتها وثبت تضغط ذلك الذر الصغير . في الإطار الجانبى لساعتها ، مطلق إشارة الاستغاثة . وكانت هذه الضغطة هي محاولة النجاة الأخيرة ، على الرغم من كل ما فيها من يأس . واستحالة .

« هذا الأمر معقد للغاية .. »

ألقى الدكتور (حجازى) العبارة في حيرة واضحة ، وهو يراجع مع (طارق) أوراق الدكتور (فؤاد) ، على شاشة الكمبيوتر ، وعاد يتطلع مرة أخرى إلى تلك التركيبات المعقدة ، قبل أن يتابع فى اهتمام :
- المفترض ، طبقاً لتلك الأبحاث ، أن يحدث تحوّل تام فى الخلايا ، بحيث تصبح لاغلفتها الخارجية القدرة على الاحتفاظ بالطاقة داخلها ، فى نفس الوقت الذى يمكنها فيه إحداث تغييرات فى تلك الطاقة ، وتحويلها إلى أية صورة أخرى .
أجابته (طارق) :

- وهذا ما رأيتاه بأنفسنا ، فذلك النوى يطلق الضوء من عينيه ، وكرات النار والصواعق من قبضتيه ، ويمتدّه إحاطة نفسه بغلاف متغير الذبذبة ، من الطاقة الكهرومغناطيسية ، بحيث يخفى جسده ، أو بضيله بضوء ساطع مبهر .
وتنهّد فى عمق قبل أن يضيق :
- والله (سبحانه وتعالى) أعلم بما يمكن أن يفعله أكثر من هذا .

هز الدكتور (حجازى) رأسه فى بطله ، وهو يقول :
- هذا صحيح يا ولدى ، ولكننى ما زلت أصرّ على أن الطبيعة تفرض نفسها وقوانينها فى النهاية ، أن تلك الخلايا ، مهما حدث فيها من تحورات ، ستظل تحتفظ بنفس طبيعتها البشرية ، التى خلقها عليها الله (عزّ وجلّ) ، وأن ذلك الجهد الخارق ، الذى تبدّله طوال الوقت ، منذ أمثالات بالطاقة النووية ، لا بد أن يودى فى النهاية إلى الهيارها .
أشار (أكرم) بسبابتّه ، قائلاً :
- السؤال هو متى يا دكتور (حجازى) ؟ متى تنهار خلايا ذلك الولد ؟

عاد الدكتور (حجازي) يهز رأسه ، وقال :

- هذا ما تبذل قصارى جهنم للتوصل إليه يا ولدى .

عط (أكرم) شفتيه ، وقال في حلق :

- أتعلم أن تتوصلوا إلى هذا ، قبل أن ينتهى من

خملته الثأرية الوحشية هذه .

وابتسم في سخرية عصبية ، مستطرذا :

- أو قبل أن يظهر بنا .

أطلقت (تشوى) زفرة متوترة ، وأشارت إلى

جهاز الكمبيوتر ، قائلة :

- الواقع أن أمر ذلك النووى شديد الصعوبة والتعقيد

بالفعل يا (أكرم) .

إلى أبذل قصارى جهدى ، وأراجع ملفات كل

القضايا ، التى جمعت ما بين الضحايا الثلاث ، وأجمع

المعلومات عن كل شخص ارتبط بها ، وعن أقارب

المتهمين والمدانين فيها ، حتى الدرجة الرابعة ،

وعلى الرغم من هذا ، فلم يمكننى التوصل إلى هويته

الحقيقية قط .

تراجع (طارق) ، والتفت حائبا في تفكير عميق ،

قبل أن يلتفت إليها ، قائلا :

- إننى أفكر فى هذا منذ فترة ، واعتقد أنه يمكننا

التوصل إلى هوية ذلك الشاب ، أو على الأقل إلى

القضية التى أطلق كل غضبه وقوته من أجلها ،

بوسيلة أخرى .

سأله (رمزي) فى اهتمام :

- أية وسيلة هذه ؟

ثم يجب (طارق) سؤاله مباشرة ، وبما احتفظ

وجهه بدلالات التفكير العميق لبضع لحظات ، قبل أن

يشير بسبأته ، ويسأل (تشوى) فى اهتمام :

- أخبرينى .. هل يمكنك التعامل مع برامج التماثل

ثلاثية الأبعاد ؟

لجأته بسرعة :

- بالطبع .. لقد درست هذا الأمر جيدا ، ولدى

برنامج رائع فى هذا المضمار .

اعتدل بجسده كله ليوأجبهها ، قائلا :

- عظيم .. يمكننا إذن أن نقوم بتجربة دقيقة ،

و ..

قبل أن يتم عبارته ، انطلق فجأة أربز جهاز

استدعاء الطوارئ ، وارتسم على شاشته اسم

(سلوى) ، قبل أن يتم تحديد موقعها على خريطة
للمدينة ، فى سرعة مذهشة ، فهتفت (نشوى) فى
ارتياح :

- رباه ! إنها أمى .. يا إلهى ! أرجو ألا يكون
مكررة قد أصاب أبى .

قفز (أكرم) إلى جهاز المتابعة الأمنية العاجلة ،
هاتفا :

- سنعرف على الفور .

ضغط زر الجهاز فى لهفة متوترة ، وتملقت عيون
الجميع بشاشته فى توتر بالغ ، حتى ظهرت على
شاشته عبارة محدودة ، حوكتها الجهاز إلى صوت
ألى ، يقول :

- هجوم خفيف على المستشفى المركزى .. نفس
الطو الخارق .

شهقت (نشوى) فى ارتياح :

- رباه ! أبى !! أمى !!

استل (أكرم) مسدسه ، وهو يندفع نحو الباب ،
هاتفا :

- هيا بنا .

لم تقو ساقا (نشوى) على حملها ، وقلبها يخفق
فى قوة ، وهم (رمزى) بالتهوض من مقعده ، ولكن
(أكرم) صاح به فى صراة عصبية :

- هليوكوبتر الطوارئ للتقاة لن تحمل سوى
رجلين .

ثم لوح بمسدسه ، مستطردا فى لهجة أمرة :

- هيا يا (طارق) .

لم يكن (طارق) فى انتظار النداء ، فقد التقط
حقيبته فى لهفة ، فور سماعه عبارة الجهاز ، واندفع
نحو الباب ، وعبره بالفعل قبل أن يبلغه (أكرم) ،
الذى اعتقد حاجباه فى توتر ، إلا أنه لم يعلق على
الموقف ، حتى بلغا هليوكوبتر ، فوثب (طارق)
إلى مقعد قيادتها ، قائلا :

- أسرع يا (أكرم) .. لا بد أن ننتقل بأقصى
سرعة ، وإلا وصلنا بعد فوات الأوان .

قفز (أكرم) إلى هليوكوبتر ، هاتفا :

- هل يمكنك قيادتها ؟

ربط (طارق) حزام مقعده ، مجيبا فى حزم :

- إلى حد ما .

لم يكن (أكرم) قد أحكم ربط حزام مقعده ، عندما ارتفع (طارق) بالهليكوبتر بفتحة ، على نحو يشق عن إجابة تامة للطيران ، ومهارة مدعشة في التحليق ، جعلت الهليكوبتر تتحرك بسرعة كبيرة ، دون أن تفقد توازنها لحظة واحدة ..

وفي انبهار ، هتف (أكرم) :

- يا إلهي ! إنك تقود بمهارة مبهرة بالفعل ..

غمغم (طارق) في تحفظ :

- لقد تلقيت بعض دروس الطيران ..

اتفقد حاجبا (أكرم) ، وهو يغمغم في دهشة مستترة :

- بعض ؟!

لم يعلق (طارق) على العبارة ، ولاذ بالصمت التام ، وهو ينطلق بالهليكوبتر بأقصى سرعة ممكنة ، نحو المستشفى المركزي ..

وفي نفس اللحظة ، كانت (نشوى) تتحرك داخل المقر الصحراوي في عصبية شديدة ، هاتفة :

- لا .. لا يمكنني الجلوس هنا ساكنة ، وأبى وأبى يواجهان خطر الموت هناك .. لا بد أن أذهب إليهما .. لا بد ..

أجابها الدكتور (حجازي) في توتر شديد :

- لن يمكنك الوصول في الوقت المناسب أبداً يا ابنتي .. لقد رحل (أكرم) و (طارق) بالهليكوبتر ، ولم يعد لدينا سوى السيارة الصحراوية ، وسرعتها تجعلنا نحتاج إلى نصف الساعة على الأقل ، قبل أن تبلغ المستشفى ..

تتهجد (رمزي) ، مكملًا :

- والكثير يمكن حدوثه في نصف الساعة هذه ..

وخفض عينيه في مرارة ، مستطردًا :

- الكثير جدًا ..

استدارت إليه في عنف ، هاتفة :

- كان ينبغي أن تذهب معهما ، كان لا بد أن تفعل ..

شعر الدكتور (حجازي) بالقلق ، وهو ينقل بصره بينهما ، في حين أجابها (رمزي) بسرعة :

- الهليكوبتر النقائفة صغيرة الحجم ، ولا تصلح لحمل أكثر من رجلين ..

صاحت به :

- ولماذا لم تكن أول الرجلين ؟! إنك قائد الفريق الآن ، وينبغي أن ..

قاطعها في حزم ، قبل أن تكمل عبارتها :
- أن اتخذ القرار الصحيح المناسب ، طبقاً للموقف ،
ومقتضيات المواجهة .
وترد لعابه في صعوبة ، قبل أن يكمل في مرارة :
- وهذا ما فعلته .
عدلت في وجهه بتوتر بالغ ، فرفع عينيه إليها ،
مضيقاً :

- لقد أرسلت أفضل رجلين لدينا بالفعل .. الدكتور
(حجازي) لن يعكفه التصدي لموقف كهذا ، وأنا لم
أستعد لياقتي بعد .. كان هذا أفضل قرار يمكن اتخاذه ،
في ظرف شديد الحساسية كهذا .

ارتجفت شفتاها بضع لحظات ، وهي تواصل
التحديق في وجهه ، ثم لم تلبث أن ألقت نفسها بين
ذراعيه فجأة ، وتركت دموعها تتفجر كينبوع ساخن
من عينيها ، وهي تدفنها في صدره ، قائلة :

- سامحنى يا (رمزي) .. سامحنى .. الموقف
يفوق قدرتي على الاحتفال .. لا يمكنني أن أتخيل
نفسى في موقف سنبل كهذا ، وأبى وأبى يواجهان
خطر الموت ، على مسافة عدة كيلومترات منى .

احتواها بين ذراعيه في حنان ، وضمتها إليه في
رفق ، هامساً :

- سيكون كل شيء على ما يرام ياذن الله (العلى
القدير) يا زوجتى العزيزة .. سيكون كل شيء على
ما يرام ..

في نفس اللحظة التي تجاوزت فيها العبارة شفتيه ،
كانت (سلوى) ترتجف في مقلبيها ، كما لو كانت
عصفوراً صغيراً أصابه البلى ، في ليلة قارصة
البرودة ، وأصوات انفجار الأبواب والجدران تقترب
منها بسرعة مذهشة ، مع صرخات الغضب العظيمة ،
التي يطلقها ذلك النووى ، بعد كل خجرة خالية ..

وكان من الواضح أنه سيلبغ مخزن عقاقير
الطوارئ بعد لحظات معدودة ..

لحظات تأتي بعدها النهاية لا ريب ..
نهايتها ..

ونهاية (نور) ..

ولم يكن هناك مكان آخر ، يمكنها أن تذهب إليه ..
لقد وضعت نفسها في المعصيدة ، ولم يعد هناك من
سبيل للفرار ..

٢ - مواجهة ..

الجمعة : الحادي عشر من مايو .. الرابعة
والنصف عصراً ..

لحظة واحدة ، التقت فيها عينا (سلوى) بعيني
القاتل ..

لحظة انتفض لها جسدها كله في عنف ، وسرت
فيه موجة باردة كالثلج ، تجسدت لها أطرافها ،
وارتجف لها كياتها كله ، كما لو أن صاعقة قوية
أصابته ..

وفي تلك اللحظة ، قرأت (سلوى) في عيني
النوى الكثير ..

ورأت ما تعجز آلاف الكلمات عن وصفه ..

رأت الغضب ..

المقت ..

الثورة ..

الشراسة ..

الوحشية ..

أى سبيل !

وظف قلبها بأعنف ما يمكنه ، عندما توقف وقع
الأقدام أمام باب المخزن ..

ثم هوى بين قدميها ، عندما انطلقت الصرخة
الفاضية ..

وانطلقت معها كرة جديدة من كرات النار ..

كرة أصابت باب الحجرة ، وانزعته من مكانه في
عنف ، ودفعته حتى ارتطم بها ، ودفعها مع فراش
(نور) حتى نهاية الحجرة ، قبل أن يرتطم طرفه

العلوي بالجدار ، ويميل كله فوق فراش (نور) ...

ومن خلف الباب ، وبعينين أتركهما تعب وذعر
الدنيا كلها ، لمحت (سلوى) وجه ذلك الشاب ..

وجه النوى ..

وتما في تلك اللحظة يرفع قبضته نحو الداخل ،
استعداداً لإطلاق كرة نارية جديدة ..

كرة ستسف الحجرة كلها ، بكل ما فيها ، ومن
فيها ..

وهذا يعنى أنها النهاية المحتومة ..

للجميع ..

بل رأت الشيطان نفسه ، يطلّ من عينيّن سكتها
الجنون ، واستقرّ في أعماقهما الشر مجسّماً ..
وبعد تلك اللحظة ، تألّقت عيناها ، وسطعتا ..
وانطلق منهما ذلك الضوء المخيف ..
الرهيب ..

ويكلّ ذعر الدنيا ، صرخت (سلوى) ، وهى
تراجع ، محاولة حماية زوجها الغائب عن الوعي ،
حاجبة عينيها بفتيها ، من ذلك الضوء المبهر ، الذى
يغشى كيانها كله ، و ...
« أنت هناك .. »

انطلقت الصيحة بفتة ، من بداية الممر ، وانطلق
معها شاعاعان من الليزر ، شقّا طريقهما نحو
النوى ، وتلاشيا على قيد مستنقرات من جسده ،
فوق ذلك الحاجز الكهرومغناطيسى الواقى ، الذى أحاط
نفسه به ..

وفى ثورة غاضبة ، استدار النوى يواجه رجال
الشرطة ، الذين هرعوا إلى المكان ..
ويلا تردّد ، أطلق الرجال نحوه عشرات من خيوط
الليزر القاتلة ..

ولم يكن مصير تلك الخيوط بأفضل من مصير
سابقتها ..
لقد تحطّمت وتلاشت ، فوق الدرع الواقية سرّة
أخرى ..

وفى ثور بالغ ، هتف أحد رجال الشرطة :
- استخدموا مدفعا .. أطلقوا نحوه صاروخاً ..
صرخ النوى فى غضب ، قبل أن يتمّ الرجل
عبارة ، ورفع قبضته نحوه ..
وانطلق كرة نارية جديدة ..

وتراجع رجال الشرطة لى ذعر ، أمام تلك الكرة
المخيفة ، التى شقّت طريقها عبر الممر ، لتترطم
بجسد أحدهم ، وتقتلعه من مكانه ، دافعة إياه أمامها
لخسعة أثار كاملة ، قبل أن يصدم بالجدار ، ويسقط
أرضاً ..

ولكن العجيب أن تلك الكرة النارية لم تقتله ..
فقط أحرقت قميصه ، ومستقرّته الواقية ، ومزقت
أربطتها كلها ..

وانعقد حاجبا النوى فى غضب هائل ..
وانطلقت منه صرخة أخرى ..

صرخة شقت عن ثورة عارمة هذه المرة ..

ومع صرخته ، هتف أحد رجال الشرطة ثانية :

- أطلقوا نحوه صاروخاً .

واخترقت العبارة أنفيه فى قسوة ..

لقد أدرك أن طاقته قد انخفضت بسرعة هذه المرة .

بسرعة أكثر مما ينبغي ..

وهذا يعنى أنه لو أطلق هذا الصاروخ نحوه ،

سيكون مصيره الموت حتماً ..

لذا فقد أسرع بيدل ذنبية الغلاف الكهرومغناطيسى

المحيط به ، وأخذ جسده يتلشى تدريجياً ، وهو يعدو

نحو رجال الشرطة ، مطلقاً صرخات غضب متصلة ،

جعلتهم يتراجعون فى فزع ، ويغيرهم بصرخ :

- أطلقوا الصاروخ .. أطلقوا الصاروخ ..

وضغط حامل المدفع زر الإطلاق ..

وأطلق الصاروخ ..

ولكن النور كان قد اختفى تماماً ..

ولم يعد هناك هدف يمكن التصويب عليه ..

ودوى الانفجار فى نهاية الممر ..

وأضاح بجدار حجرة عقاقير الطوارئ ..

نفس الحجرة التى تحتوى بها (سلوى) مع

زوجها (نور) ..

ومع الانفجار ، انطلقت فى المكان كله ضحكات

ساخرة عصبية ، راحت تبتعد ، وتبتعد ، حتى تلاشت

بدورها ..

وساد المكان صمت رهيب ..

صمت يوحي بأنه ، وباستثناء رجال الشرطة ،

الذين شملهم الرعب والذهول ، لم يكن هناك أثر لحياة

أخرى فى ذلك الطابق ..

أدنى أثر ..

* * *

لم ينطق (طارق) بحرف واحد ، وهو ينطلق

بالهليوكوبتر نحو المستشفى ..

وكذلك لم يفعل (أكرم) ..

كانت هناك مخاوف شتى ، تسيطر على كليهما ،

حتى إن كلا منهما اكتفى بالتفكير فيها ، ولم يجد

بنفسه أدنى رغبة فى التحدث مع رفيقه ..

ثم قطع (طارق) ذلك الصمت ، وهو يشير بيده ،

قللاً :

- من الواضح أن ذلك النووى قد انتهى من مهمته ،
وبدا يفقد طاقته ، لذا فقد أحاط نفسه بخلاف الإخفاء ،
وغادر المكان ، وهم يبحثون عنه الآن .

هاتف (أكرم) فى غضب :

- عظيم .. دعنا نهبط عند المستشفى إذن ، لنطمئن
على (نور) و (سلوى) .

أجاب (طارق) فى حزم شديد :

- ليس الآن .. افتح الجهاز ، وابحث عن برنامج
باسم (النووى) ، ثم انتقل إلى البرنامج الفرعى
(مسارات) ، وسيمكنك تحديد الاتجاه ، الذى ينبغى
أن نتخذه ، لنتعقب الشاب .

صاح (أكرم) :

- نتعقب من ؟! المفترض أن تكون الأولوية

لـ (نور) و (سلوى) .

قال (طارق) فى صرامة :

- كلا يا رجل .. إننا رجال مخابرات علمية ،
والأولوية المطلقة لدينا للمهمة ، التى تم إسنادها إلينا ،
ومهمتنا هى العثور على ذلك النووى ، وتدميره ، أو
منعه من مواصلة حملته التآرية الغامضة ..

- ها هو ذا المستشفى .

وهنا غمغم (أكرم) بصوت مبجوح :

- أتعلم أن نكون قد وصلنا فى الوقت المناسب .

التقى حاجبا (طارق) قليلاً ، وهو يقول :

- عجباً ! رجال الشرطة يتدفعون خارج المستشفى ،

كما لو أنهم ..

بتر عبارته بفترة ، وهو يفكر فى عمق ، فسأله

(أكرم) فى توتر : وهو يستلّ مسلسمه بحركة حادة :

- كما لو أنهم ماذا ؟!

أجاب (طارق) فى بطء :

- كما لو أنهم يطاردون شخصاً ما .

ثم انحرف فجأة بالهليكوبتر ، مضيفاً فى حزم :

- شخص خفى .

ارتفع حاجبا (أكرم) فى دهشة مستترة ، وهو

يهتف :

- ماذا تفعل يا هذا ؟!

أجاب (طارق) فى اهتمام ، وهو يدفع إليه

حقيبتيه :

صاح (أكرم) فى ثورة :

- وماذا عن (نور) و (سلوى) ؟

أجابه (طارق) بنفس الصرامة :

- لقد انتهى التسوى من مهمته بالمستشفى ، ولو

أنه كان يهدف إلى (نور) و (سلوى) بالفعل ، لقد

فعل ما فعله ، ولم يد يوسعنا إعادة عقارب الساعة

إلى الوراء .

رمقه (أكرم) بنظرة غاضبة ، وهو يقول :

- يا لركة مشاعرك !

صمت (طارق) لحظة ، قبل أن يقول فى حزم

بالغ :

- لن أضيع فرصة ثانية كهذه ، للظفر بخصم مثله ،

لمجرد أن مشاعري الموهبة تصور على مخالفة

المنطق والواقع ، والخضوع للزوة عاطفية سخيفة .

ثم التفت إليه ، مستطردا :

- هيا يا رجل .. افرض عن نفسك كل تلك

المواقف ، وابدأ فى تشغيل برنامج المسار .. هيا .

صمت (أكرم) بضع لحظات ، ثم هز رأسه ،

مضجعا فى خلق :

- اللعنة !

وأسرع يفتح الجهاز ، ويستدعى برنامج المسار ،

الذى رسم أمامه خريطة لمدينة (القاهرة) الجديدة ،

ثم أرسمت فوقها ثلاثة خطوط حمراء ، و (طارق)

يقول :

- هذه هى الاتجاهات ، التى اتخذها فى عملياته

الثلاث السابقة ، بعد أن انتهى من مبحثه ،

والمفترض أنها تشير إلى حيث يختفى أو يقيم .

قال (أكرم) فى عصبية :

- ولكنه يحيط نفسه بغلاف الإخفاء ، كما تقول .

أجابه (أكرم) ، وهو يدور بالهليوكوبتر فى سماء

المدينة :

- دراساتى تقول : إنه لن يمكنه أن يفعل هذا طوال

الوقت ، وإلا نفذت طاقته ، ونضبت تماما .. سيضطر

حتمًا لرفع ذلك الغلاف ، عندما يتصور أنه صار بعيدا

عن مواطن الخطر ، وعندئذ سيلتقطه جهاز تحديد

الطاقة ، وسيمكننا تتبعه إلى وكرد .

سأله (أكرم) :

- ثم ؟

صمت (طارق) لحظة ، قبل أن يجيب :

- ثم سيكون علينا أن نترجل .

التفت إليه (أكرم) بحركة حادة ، هاتفاً :

.. نترجل !؟

أجابته (طارق) في حزم :

.. نعم يا رجل .. لترجل .. وعليك أن تؤهل عقلك

لقفل هذا ، أو ...

قبل أن يتم عبارته ، انطلق فجأة تزييز محدود ، من

جهاز تحديد الطاقة ، وظهرت على شاشته بقعة

حمراء متحركة ، فهتف (أكرم) ، وجسده كله

يتنفض انفعالاً :

.. ها هو ذا .. لقد أزال الغلاف ..

التفت حاجباً (طارق) ، وهو يقول :

.. عظيم ..

ثم ألقى نظرة سريعة على شاشة جهازه ، وهو

يعمل بالهليوكوبتر ، لينطلق نحو الهدف ..

الهدف الخارق ..

★ ★ ★

كان انفجار الصاروخ قوياً بالفعل ، حتى إنه أطاح

بجزء من جدار الحجرة ، فاندفعت الأجزاء المحطمة

نحو (سلوى) و (نور) في عنف ..

ولكنها ارتطمت أولاً بالباب الخشبي السميك ، الذي

احتمت به (سلوى) ، وأخفت خلفه فراش (نور) .

ومع دوى ارتطام الأحجار بالباب ، فقدت (سلوى)

أعصابها ..

وراحت تصرخ ..

وتصرخ ..

وتصرخ ..

والعجيب أن كل تلك الصرخات لم تتجاوز حلقها ..

لقد انطلقت كلها في أعماقها ، وانحبست في داخلها ،

وجسدها يرتجف في عنف شديد ..

فيما عدا الصرخة الأخيرة ..

وحدها نجحت في تجاوز أسوار حلقها ، فاتفجرت

عالية مدوية ، في المكان كله ..

وارتفعت عيون كل رجال الشرطة نحو مصدر

الصرخة ..

وهتف كبيرهم ، وهو يعدو محاولاً البحث عن ذلك

الخصم - الذي تلاحى أمام أعينهم ، كما لو أنه ذاب
فى العدم :

- فليتحرك أحدكم ما يحدث هنا .

اندفع أحد الرجال نحو الخجرة ، وقفز فوق الحطام ،
الذى يسد مدخلها ، وصوب مسدسه الليزرى إلى
الباب الخشبي ، هاتفا :

- من هنا ؟

جاوبه سعال عنيف ، قبل أن تهتف (سلوى) :

- النجدة .. أنا (سلوى) . من المخابرات العلمية ..

استدع فريق الطوارئ الطبي بالله عليك .. زوجى
(نور) مصاب .. أسرع يا رجل .. أسرع .

هتف الشرطى :

- زوجك (نور) ؟ اتعنين المقدم (نور الدين) ،

رجل المخابرات العلمية ، ويطل التحرير ؟

أجابته بأكية :

- إنه هو .. أسرع يا رجل ، قبل أن تضيف إلى

تلك الألقاب كلمة (سابقا) ..

لم يفهم الرجل ما تعنيه للوهلة الأولى ، إلا أن هذا

لم يمنعه من أن ينتزع جهاز اللاسلكى ، المعلق فى

حزامه ، ويهتف عذراء :

- حالة عاجلة ، فى الطابق الثامن ، تحتاج إلى
إسعاف طبى على الفور .. أكرر .

تردد هاتفه عبر كل مكبرات الصوت بالمستشفى ،

وانتقل إلى كل رجل شرطة فى المنطقة كلها ..

ولكن كانت هناك مشكلة ..

لقد حطم ذلك النووى فى هجومه ، كل شيء

تقريباً ..

قسم الطوارئ ..

حجرات العمليات الجراحية ..

مستودع العقاقير الطبية ..

وحتى قسم رعاية الحالات الحرجة ..

كل شيء ..

وتقريباً ، لم يكن هناك مكان يمكن فيه علاج (نور) .

أو مواصلة رعايته ..

وفى ارتياح ، هتفت (سلوى) :

- أين الجميع ؟ أين الأطباء ، والممرضات ؟ أين

كل شخص هنا ؟ لا بد من إسعاف (نور) بأقصى

سرعة .. لقد انتزعت كل الأسلاك والأنابيب الدقيقة

عن جسده عنوة ، ولست أدري ما يمكن أن يفعله به
هذا ، ولا ما الذي ..

سعل (نور) بفتة ، ليبتز عبارتها ، فالتفت إليه
في سرعة ، هاتفة :

- رباه ! (نور) !

سعل مرة أخرى في قوة ، ثم امتنع وجهه في شدة ،
وبدا وكأن صدره لم يعد قادراً على ترويد أنفاسه ،
فصاحت :

.. (نور) .. ماذا أصابك ؟ ماذا بك ؟

شهق (نور) في قوة ، ثم نهالك جسده دفعة
واحدة ، فصرخت :

- لا .. لا يا (نور) .. لا ..

وبكل ما يحتشد به صدرها ، ويموج به كياتها ،
صرخت :

- (نور) .. (نور) .. (نور) ..

وترنّدت صرختها في المستشفى كله قوية مجلجلة ،
و ...

وما من مجيب ..

* * *

« إننا نقترب منه بالتأكيد .. »

تطلق (أكرم) العبارة في الفعل شديد ، وهو يشير
إلى البقعة الحمراء ، التي لزادت تألقاً ، على شاشة
الجهاز ، و (طارق) يواصل التحديق بالهليوكوبتر ،
في سماء (القاهرة) الجديدة ، فضعف هذا الأخير ،
في اهتمام ملحوظ :

- هذا صحيح .. إنه هنا في مكان ما .. وسط المارة
والسيارات ، التي تكتظّ بها الطرقات ، في هذه
الساعة .. اتعظّم أن نتعرف سيارته :

قال (أكرم) في دهشة :

- سيارته ؟ أيقود مثله سيارة عادية ؟

أجابه (طارق) بدهشة مماثلة :

- ولم لا ؟! أعتقد أن كونه تويوتا ، يجعله قادراً

على قطع تلك المسافات الطويلة ، سيراً على الأقدام ؟

مط (أكرم) شفّتيه في شيء من الحيرة ، قبل أن

يهزّ كتفيه ، قائلاً :

- كنت أتصور أنه سيظهر مثلاً ..

ارتفع حاجبا (طارق) في دهشة أكثر ، ثم ابتسم
في شيء من السخرية ، قائلا :

- أه .. من الواضح أنك كنت تكثر من قراءة
الروايات المصورة في صباك ، وعلى الأخص روايات
(سوبرمان) (*)

اعتقد حاجبا (أكرم) في حلق ، وهو يقول في
عصبية :

- كانت مجرد ملاحظة .

أوما (طارق) برأيه ، مغمضا :

- يمكنني فهم هذا ..

ثم أشار إلى شاشة جهازه ، متابعاً في الفعل :

- أعتقد أنه تحتنا مباشرة الآن .

(*) سوبرمان : شخصية خيالية ، ابتكرها (جوشاستر)

(جيري سيغال) ، إبان الأزمة الاقتصادية الأمريكية في الثلاثينات ،
وهي لبطل جاء من كونك آخر ، واكتسب قوى خارقة على كونك
الأرض ، جعلته قادراً على الطيران ، ورؤية الأشياء البعيدة
والمحمية ، كما امتك مناعة ضد كل أنواع الأسلحة المعروفة ،
ولقد استخدم قوته هذه لعمل الخير وتحقيق العدالة .

اعتقد حاجبا (أكرم) في شدة ، ومال برأسه
متطلعا إلى عشرات السيارات ، التي تشق طريقها
تحتة ، وغصم متوترا :

- هل يمكنك تحديد موقعه بالضبط ؟

أجاب (طارق) ، وهو يبطئ من سرعة
الهلوكوبتر :

- لا تتعجل الأمور .. إننا تقترب من مفترق طرق ،

وذلك الفيض من السيارات لن يلبث أن ينقسم إلى

عدة مجموعات صغيرة ، كل في اتجاه ما ، وعندئذ

سيمكننا تحديد الأمر أكثر .

بدأ الضيق على وجه (أكرم) ، واعتدل في مقعده ،

مغمضا :

- أتخشم هذا .

كان يشعر بتوتر هائل ، يطفئ على مشاعره كلها ،

لأنه يقترب من خصمه اللوى ..

ولأنه ما زال يجهل مصير (نور) و (سلوى) ..

ومن أعصى أخصايقه ، تصاعدت رغبة ملحة في

الاتصال بالمستشفى ، والسؤال عنهما ..

ولكنه ، ولسبب ما ، كان يخشى أن يفعل ..

ربما لأن الشعور بالذنب وتائب الضمير ، لم يفارقه بعد ..

أو لأنه يخشى أن يجد ما يضطره إلى إيقاف المطاردة ، والعودة إليهما !!

إنه - تماما مثل (طارق) - يجد أنها فرصة مثالية ، لتحديد موقع ذلك النووي ، ويلوغ وكره الخفى ..

ولكنه يرفض الاعتراف بهذا ..

أو يخشاه ..

وبشدة ..

وكمحاولة لإبعاد الأمر عن ذهنه ، راح يشغل عقله بمراقبة السيارات ، التي اقتربت من المفترق ، ثم راحت تنقسم إلى مجموعات صغيرة بالفعل ، وعندئذ

قال (طارق) في حماس :

- ها هو ذا .. لقد اتخذ الطريق ، الذي يمر بمحاذاة

أطلال (القاهرة) القديمة .

هتف (أكرم) :

- حقا ؟

كانت السيارات ، التي اتخذت هذا الطريق محدودة للغاية ، لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة - لذا فقد خلق

(طارق) فوقها ، والاتفعال بغسره مع (أكرم) ، الذي أمسك مسدسه بحركة غريزية ، وأحاط مقبضه

بأصابعه في قوة ، وعينه تفحصان ذلك العدد المحدود من السيارات ، وهو يمتنى أن يمتلك تلك القدرة

الخرافية ، على التنازل ببصره عبر الحدود ، لرؤية خصمه ، وتحديد موقعه وهويته .. و ..

وفجأة ، انحرفت إحدى السيارات ، وتوقفت أمام متجر كبير ..

ومع توقفها ، توقفت تلك البقعة الحمراء على الشائنة ..

وبكل حماسه ، هتف (طارق) :

- ها هو ذا -

سأله (أكرم) في الفعل :

- أنت والى ؟

تعلقت عيونهما بالشباب ، وهو يغادر السيارة ، ويتجه في هدوء نحو المتجر ، وقال (طارق) :

- بلا أنفى شك .. إنه يسعى لشراء غذائه .. جسمه يحتاج الآن إلى الكثير من الطعام ، قبل أن يخرق في

سبات عميق محدود .. لقد توقف لشراء طعامه .

ازداد اعتقاد حاجبي (أكرم) في شدة ، وهو يقول :
 - إذن فهذا هو .. هذا هو .
 ثم سأل في لهفة :
 - أنت واثق من أنه لا يستخدم تلك الأغلفة الواقية
 الآن ؟

أجاب (طارق) ، وهو ينخفض بالهليون كويتر :
 - بالطبع .. إنه ..
 قبل أن يتم عبارته ، فوجئ به (أكرم) بصوت
 مسدسه إلى الشاب ، هاتفاً :
 - فليم انتظرونا إذن ؟
 هتف به (طارق) :
 - لا .. لا تفعل ..

ولكن خلفه ضاع مع دوى الرصاصات ، التي
 أطلقها (أكرم) في حزم وسقاء ، تحو ذلك الشاب
 النوى ..
 وكانت مفاجأة حقيقية للشباب ..

لقد انتهت عليه عشرات الرصاصات ، عند باب
 المتجر ، وفوجئ بإحداها تخترق كتفه ، وبثانية
 تقوس في جدار بطنه ، فوشب داخل المتجر ، مطلقاً



لقد انتهت عليه عشرات الرصاصات ، عند باب المتجر ،
 وفوجئ بإحداها تخترق كتفه ..

صرخة غضب هائلة ، في نفس الوقت الذي هتف فيه
(طارق) ، داخل الهليوكوبتر :

- ماذا فعلت أيها اللعس ؟! لقد أثرت جنونه .
أجابه (أكرم) في عصبية :

- لم يكن من الممكن أن أضيع فرصة كهذه .

دار (طارق) بالهليوكوبتر ، وهو يقول :

- فلتدع الله بأن أن نتمكن من الفرار ، قبل أن ...

لم يكن قد أتم عبارته بعد ، عندما برز النووى من
المتجر ، وجسده يضرب بضوء باهت ، وأطلق صرخة
غاضبة قوية ، وقبضته ترتفع نحو الهليوكوبتر ..

وبلا تردد ، أطلق (أكرم) رصاصاته مرة أخرى .
ورأى تلك الكرة من الطيران ، التي انطلقت من
قبضة النووى ..

وصرخ (أكرم) :

- احترس يا (طارق) .

وجذب (طارق) ذراع الهليوكوبتر في قوة ، ولكن
الكرة الفارية كانت تنطلق بسرعة خرافية ، جعلتها
تبلغ الهليوكوبتر في لحظة واحدة ، و ...

ودوى انفجار محدود ..

انفجار أطاح بطرف ذيل الهليوكوبتر ، مع مروحتها
الخلفية ..

واشتعلت النيران في باقي الذيل ..

وفقدت الهليوكوبتر توازنها ..

وهوت ..

وبمنتهى العنف .

* * *



٢ - أربع ساعات ..

الجمعة : الحادي عشر من مايو .. الخامسة عصرًا .

كل شيء كانت تسوء الفوضى والاضطراب في المستشفى ..

حالة الذعر الهائل ، التي سيطرت على الجميع ، مع الهجوم العنيف ، جعلتهم يفرون خالقين هلعين ، تاركين المكان كله خلفهم ..

وكانت (سلوى) تنهار ، وزوجها يلفظ أنفاسه الأخيرة بين يديها ، والشرطي يطلق النداء تلو الآخر ، في محاولة لاستدعاء من ينقذ حياته ..

وبكل مرارة الدنيا ، هتفت (سلوى) :
- لا .. لا يمكن أن يفعلوا بنا هذا .. لا يمكن أن يتركنا الجميع هكذا ..

« هذا صحيح يا سيدي .. »

ارتجف جسدها كله مع العبارة ، واستدارت إلى مصدرها في لهفة ، وكاد قلبها يثب من بين ضلوعها ، عندما وقع بصرها على أحد أطباء المستشفى ، في

معطفه الأبيض ، وهو يشق طريقه إليها ، مستطردًا :
- لا يمكن أن نتخلى عن يحتاج إلينا .. إنها رسالتنا .

تهدد الشرطي في لوتياح ، مغمضًا :
- حمدا لله .

أما (سلوى) ، فقد تعلقت بالطبيب ، هاتفة :
- انقذ حياته يا سيدي .. أرجوك .

ربت الطبيب على يدها ، قائلا :
- سأبذل قصارى جهدي يا سيدي ..

وبسرعة ، راح يفحص (نور) ، الذي بدا شاحبًا كالموتى ، وغمغم :
- آه .. إنها صدمة ارتدادية .. لقد توقفت منشاطات

القلب ، دون سابق إنذار .. إنه يحتاج إلى إسعاف عاجل بالفعل .

هتفت بالهمة :
- ولكن كيف ؟! لقد تحطم كل شيء .. كل شيء ..

أجابها في حزم :

- حتى هذا الطابق مخرب يا سيدي ..
ثم التفت إلى الشرطي ، مستطردًا :

- هيا يا رجل .. تعاون معي ؛ لننقل المقدم (نور)
إلى الطابق الثالث ، حيث حجرة العمليات الجراحية
الرئيسية .. أسرع .

سأنته (سلوى) في دعر :

- هل .. هل يحتاج إلى عملية جراحية عاجلة ؟
أجابها الطبيب ، وهو يتعاون مع الشرطي لحمل
فراش (نور) خارج الحجرة المعطمة :
- كلا يا سيدتي ، ولكن هناك وحدة عناية مركزة ،
ملحقة بحجرة العمليات الرئيسية ، تحسباً لأيّة طوارئ
مفاجئة ، في أثناء إجراء أية جراحة كبرى ، وتلك
الوحدة مجهزة بكل ما نحتاج إليه .

ثم عاد يهتف بالشرطي :

- أسرع يا رجل بالله عليك .

كانت المصاعد كلها معطلة ، كإجراء وقائي ، بعد
انطلاق إنذار الحريق (*) ، ولكن الطبيب والشرطي
جاهدا لحمل الفراش ، عبر درجات السلم ، واتصم
إليهما بعض الممرضين والعاملين بالمستشفى ، الذين
عادوا إليها ، بعد انتهاء الموقف ..

(*) في حالات الحريق أو الزلازل ، من الخطر استخدام
المصاعد ، خشية انقطاع حبالها ، وسقوطها الصيف من ارتفاعات
كبيرة ، أو انقطاع التيار ، وتوقفها غير المتوقع بين الطوابق ،
واحتجاز ركبها داخلها .

وفي عنف ، راح قلب (سلوى) يدق ..

ويدق ..

ويدق ..

حتى بلغ الرجال وحدة العناية المركزة ، الملحقة
بحجرة العمليات الرئيسية ..

وما إن تم وضع فراش (نور) داخلها ، حتى بدأ
الطبيب عمله على الفور ، وهو يلقي أوامره وتعليماته
إلى الممرضين والممرضات في سرعة ودقة ..
وتحرك فريق العمل كخلية نحل ، مفعمة بالنشاط
والحيوية ..

بعضهم راح يوصل جسد (نور) بمجموعة جديدة
من الأسلاك والأنابيب الدقيقة ، التي تتصل بأجهزة
طبية خاصة ، تعمل على قياس نبضه ، وضغط الدم
في عروقه ، وضربات قلبه ، وإشاراته الكهربائية ،
وذبذبات مخه ، وتنقل إليه عدداً من السوائل والأغذية ،
التي تحافظ على حيوية خلاياه ونشاطها ..

والبعض الآخر راح يملك صدره ، ويحقنه بالأنوية
والعقاقير اللازمة ..

وانهمرت دموع (سلوى) في غزارة ..

وخفق قلبها في عنف ..

ولأكثر من اثنتي عشرة دقيقة ، وقفت تراقب
ما يفعله الرجال في صمت ، ورأت العرق يتصبب على
وجوههم في غزارة ، دون أن يتوقفوا لحظة واحدة ..
ورأت الطبيب يتابع شاشات الأجهزة الطبية طوال
الوقت ..

وأدركت أن زوجها يمر بموقف دقيق ..

وعصيب ..

للغاية ..

ومن أعماق أعماق قلبها ، ودون أن يصدر عنها
أدنى صوت ، هتفت :

- أنقذه يا إلهي ! أنقذه من أجلى .. من أجلنا
جميعاً ..

لم يجد الهتاف يتردد في أعماقها ، حتى رفع
الطبيب عينيه إليها ، والعرق يغمر وجهه ، وارتسمت
على شفتيه ابتسامة شاحبة ، وهو يقول :

.. اعتقد أنه سينجو يا سيدي ..

خفق قلبها في عنف ، وتفجّر من عينيها تبع من
الدموع . وهي تهتف :

- حمداً لله .. حمداً لله ..

ومع الدموع المنهمرة من عينيها ، وعلى الرغم
من نجاة (نور) هذه المرة ، قلز إلى ذهنها سؤال
مخيف ..

ماذا لو لم تكن هذه هي المحاولة الأخيرة للنووي ،
للقضاء على (نور) ؟

وماذا لو أنه هاجم مرة أخرى ؟

ونجح !!

ومع هذا السؤال ، ارتجف قلبها مرة أخرى في
عنف ..

وفي ارتياح ..

* * *

لم تكن الكرة النارية ، التي أطلقها النووي ، بنفس
قوة كراته السابقة ، التي استخدمها في هجومه على
المستشفى ..

وهذا لحسن حظ (طارق) و (كرم) ..

فلو أنه أطلق نحوهما كرة نارية عاملة القوة ،
لتسفت الهليكوبتر كلها بضربة واحدة ، وأحالتها إلى
كومة من الفتات والشظايا المتناثرة ..

ولكن كرمته هذه نسفت الذيل فحسب ..

وفقدت الهليوكوبتر توازنها بالطبع ..

وراحت تدور حول نفسها ، وهي تهوى ..

وتهوى ..

وتهوى ..

تحو الأطلال القديمة ..

وفي غضب ، هتف (أكرم) :

- لقد ظفر بشا الوغد -

أجابته (طارق) في حزم صارم :

- ليس بعد ..

التفت إليه (أكرم) في دهشة ، فتابع ، وهو يحل

حزام مقعده :

- استعد يا رجل .. سنقفز من الهليوكوبتر ، فور

اقتربها من الأرض ..

اتسعت عينا (أكرم) ، وهتف :

- هل جئنت ؟!

تخلّى (طارق) عن عصا القيادة ، قائلاً :

- وما الذي يمكن أن نخسره ؟!

تفجّر القول في رأس (أكرم) ، وجعله يعيد مسدسه
إلى حزامه ، ويحلّ رباط مقعده ، قائلاً في حزم :

- صدقت ..

كانت الهليوكوبتر تقترب من الأطلال بسرعة

مخيفة ، وتدور حول نفسها في عصف ، فتعلق

بصرهما بالأرض ، وهي تقترب ..

وتقترب ..

وتقترب ..

ثم هتف (طارق) :

- الآن ..

ومع هتافه ، وثب الاثنان ..

وشعر (أكرم) وكأنه يلقي بنفسه من الطابق

الخامسين ، على الرغم من أن الهليوكوبتر لم تكن

تبعد عن الأرض بأكثر من عشرة أمتار ..

ورأى جزءاً من الأطلال يقترب منه في سرعة ،

فتنى ركبتيه إلى صدره ، وحصى وجهه بذراعيه ،

وشعر بجسده يرتطم ببقايا جدار في عصف ، ثم يسقط

فوق كومة من الصخور الصغيرة ، ويتدحرج عليها

في قوة ، وسط عاصفة من الغبار ، قبل أن يتوقف ،
وينهال عليه الغبار في كثافة ..

وفى نفس اللحظة ، سمع دوى انفجار الهليوكوبتر ،
على مسافة عشرين متراً منه تقريباً ..

ورأى لساناً من الذهب ، يرتفع إلى عنان السماء .
ثم هدأ كل شيء ..

ولثوان ، نهض (أكرم) صامتاً ، يحدث فيما حوله
فى ذهول ، وكأنه لا يصدق أنه نجا ..

ثم فجأة ، انتابته فرحة غامرة ، جعلته يهتف :

- يا إلهى ! لقد نجونا .. فعلناها ونجونا .

وأطلق ضحكة عالية ، تموج بالانفعال ، قبل أن
يعدو وسط الأطلال ، رافعاً ذراعيه إلى السماء ،
وهائفاً :

- حمداً لله .. حمداً لله .. أشكرك يا إله العالمين ..

لك الحمد والشكر ..

ثم توقف فجأة ، وتلفت حوله ، صالِحاً :

- (طارق) .. أين أنت ؟

أنا صوته واهناً ضعيفاً ، يجيب :

- أنا هنا .

اتطلق يعدو إلى مصدر الصوت ، واتسعت عيناه

فى ارتياح ، وهو يهتف :

- ربّاه !.. (طارق) ..

كان (طارق) ملقى بين بعض الأحجار الكبيرة ،
وقد اتهار جزء من جدار قديم على ساقه اليسرى ،
وبدا الألم واضحاً على ملامحه ، فأسرع (أكرم)
يرفع أجزاء الجدار ، وهو يسأله فى توتر :

- كيف حدث هذا ؟

أجاب (طارق) فى ألم :

- انفجار الهليوكوبتر أسقط الجدار .

ودّد (أكرم) :

- يا إلهى ! يا إلهى !

ابتسم (طارق) فى صعوبة ، وهو يقول :

- هذا أفضل ما يمكن حدوثه يا رجل .. كان يمكن

أن تلقى مصرعنا معاً .

ثم عض شفتيه فى ألم ، قبل أن يضيف :

- أكثر ما يؤلمنى هو أنني فقدت جهازى .

قال (أكرم) ، وهو يرفع الأنفاس عن ساقه :

- كل شيء يمكن تعويضه يا (طارق) .. كل

شيء .

انتهى (أكرم) من رفع الأحجار وبقي الجدار ، ثم

أخني بفحص ساقى (طارق) فى اهتمام ، قبل أن
يقول :

- أعتقد أنها لم تتعرض للكسر .. صحيح أنى
لمست طبيباً ، ولكن الحياة القاسية ، التى عشتها فى
صباى ، منحلتى القدرة على معرفة هذه الأشياء .
ثم اعتدل جالساً ، إلى جوار (طارق) ، وهو
يستطرد :

- تماسك يا صديقى ، ومتصل النجدة بعد قليل ..
قالتا ، وهو يضغط زر الاستغاثة ، فى جانب
ساعته ، وعقله يحمل عشرات التوترات والتساؤلات .
وكلها تدور حول ذلك العدو ..
العدو الرهيب ..
الخارق ..

* * *

تهدد الدكتور (حجازى) فى عمق ، وأدار بصره
بين أفراد الفريق ، قبل أن يقول :
- أعتقد أننا لن نكون مبالغاً ، لو قلنا إنكم نجوتم
بمعجزة .
أوما (أكرم) برأسه إيجاباً ، وقال :

- هذا صحيح يا دكتور (حجازى) .. (نور)
(سلوى) نجوا بمعجزة من هجوم النووى على
المستشفى ، وأنا و (طارق) كان من السهل أن
نلقى مصرعنا ، عند الأطلال القديمة ، ولكن كل هذا
انتهى بكومة من المسحجات والكدمات ، مع تمزق
أربطة كاحل (طارق) .

قالت (نشوى) فى توتر :

- ولكن لماذا سعى النووى للقضاء على أبى ؟
هذا لا يتفق قط مع كل عملياته السابقة ! من
المستحيل أن يكون هناك ما يربط بين أبى وثلاثة من
كبار المسؤولين ، مقاماً وعمراً !
أشار (رمزى) بيده ، قائلاً :

- أعتقد أن الهجوم على (نور) لم يكن جزءاً من
خطة الثأر هذه ، وإنما هو نتيجة مباشرة لمحاولتنا
استفراجه .

التقى حاجباً (طارق) فى شدة ، فى حين بدا
الانزعاج على وجه (نشوى) ، وهتف (أكرم)
مستنكراً :

- انتهى أن (نور) و (سلوى) قد واجها على ذلك
الخطر ، بسبب الحديث ، الذى ألقى به (طارق) ،
على شاشات التلفزيون ١٧
قال (طارق) مستعيذا هدوء المستفز ، مع لمسة
صارمة :

- لم تكن أتوقع هذا قط .

أسرع (رمزي) يقول :

- ولا أنا .. وهذا يعنى أن ذلك الشاب لا يتفهج أى
مسار نفسى معروف ، حتى بالنسبة للمرضى ، وأن
عقله مضطرب للغاية .

قال (أكرم) فى حدة :

- إن خطة (طارق) فاشلة .

هز (رمزي) رأسه نفياً ، وقال :

- على العكس .. إنها سليمة تماماً ، فعلى الرغم
من النتائج السلبية لها ، إلا أنها أثبتت أسراً بالغ
الأهمية ، وهو أن خصمنا يمكن استفزاده ، ونفعه
إلى مسار فرعى بالفعل ، فقد توقف عن تنفيذ خطته
الانتقامية ، لتوجه ضربة إلى (نور) -

قالت (نشوى) فى عصبية :

- ستمضى فى خطتنا إذن .

أجابها (رمزي) فى حزم :
- بالتأكيد .

ثم نهض من مقعده ، وراح يتحرك فى المكان ،
متابعاً فى اهتمام بالغ :

- كلنا نعلم أن (نور) قد تم نقله إلى وحدة عناية
خاصة ، فى مبنى الأبحاث العلمية ، تحت إشراف
الدكتور (ناظم) ، ونخبة من أفضل الأطباء ،
وأكثرهم خبرة وبراعة ، ولكن أحداً سوانا لا يعلم
هذا ، لذا فسنعمل على تعديل خطة (طارق) ، ونقوم
بتسريب مطومة خاطئة إلى (مشيرة) ، حول انتقال
(نور) للعلاج هنا ، فى مقرنا الصخراوى ، ثم نعاود
استفزاز خصمنا بشدة ، بحيث لدفعه دفعا للسعى
خلفنا ، ومهاجمتنا بمنتهى العنف ، وعندئذ نبدأ فى
تنفيذ الشق الأساسى من خطة (طارق) .

عزل (طارق) وضع قدمه المحاطة بجبيرة هوائية
أمامه (*) ، وهو يقول :

(*) أحدث الوسائل الطبية ، لجبر العظام المكسورة ، منو
استخدام جهاز من المطاط الرقيق ، يتم نفثها بالهواء ، بحيث
تقوم بعمل جهاز الأسمنت القديمة ، المعروفة والمستخدمة حالياً .

- معذرة يا الدكتور (رمزي) .. أدرك جيدًا أنك قائد الفريق ، والخبير النفسى الوحيد به ، ولكننى لا أعتقد أن هذا التعديل يكفى ، لدفع خصمنا إلى التخلي مرة أخرى عن حملته الثأرية ، ومهاجمتنا هنا .
سأله (رمزي) فى اهتمام :

- ماذا تقترح إذن ؟

أجابته فى حماس عجيب :

- نفس ما اقترحتَه من قبل .. أن نستخدم نفس الوسائل التقليدية القديمة .. إننا نعلم الآن أى اتجاه يتَّخذه ، للعودة إلى وكره ، ونعلم أيضًا أنه مضطر لتناول وجبة دسمة ضخمة ، بعد كل هجوم ، وهذا ما يدفعه لمهاجمة المتجر ، بعد قتاله معنا ، وبعد أن يتناول وجبته تلك ، سيخلد إلى نوم عميق للغاية ، يستمر ما بين ثلاث أو أربع ساعات ، قبل أن يستعيد طاقته وقوته ، ويستعدُّ لشنِّ هجوم جديد .. وأعتقد أن أفضل ما نفعله ، هو أن نتحرك بأقصى سرعة ، خلال هذه الساعات الأربع .. سنلحق زوجة (أكرم) إلى إعلان أمر المقرِّ الصحراوى ، مع القصة الملفقة لعلاج (نور) هنا ، وفى الوقت نفسه سنعلن صورة

خصمنا فى كل مكان ، ونرسل قوة ضخمة لتمشيط المناطق ، التى يحتل وجوده فيها .. باختصار ، سنحاصره ، ونقله ، ونحوكه من صياد إلى فريسة ، يسعى إليها الجميع ، وسنعلن فى كل مكان أننا وراء ما يحدث ، بحيث لا يعود أمامه سوى أن يهاجمنا ، دفاعًا عن حياته ، وعن استمرار حملته الثأرية .

أومات (نشوى) برأسها ، مغفمة :

- فكرة رائعة .

أما (أكرم) ، فابتسم ، قائلاً :

- ألا يفوتك شيء قط ؟

هزَّ (طارق) كتفيه ، مغفمًا فى خفوت :

- إننى أحاول بذل قصارى جهدى .

قال الدكتور (حجازى) فى سرعة :

- وكلنا نشهد لك بالبراعة ، فى هذا المضياري رجل .

غمغم فى شيء من الخجل :

- أشكرك .

ران على المكان صمت قصير ، قطعه (نشوى) ،

وهى تسأل (طارق) :

- عندما أطلقت أسمى إشارة الاستغاثة ، كنت تتحدث

عن فكرة جديدة ، لكشف هوية النووى .. أليس
عذلك ؟

أجابها (طارق) :

- هذا صحيح .. أعيدى عرض ذلك الفيلم ، الذى
صوّره آلات المراقبة ، فى منزل مدير المخابرات
العامة الراحل ، وسأشرح لك فكرتى .

نهض (أكرم) بعيد عرض الفيلم ، وتابعه الجميع
فى مرارة ، حتى وصلوا إلى تلك اللحظة ، التى أخرج
فيها النووى مدير المخابرات من السيارة المقلوبة ،

وراح يتحدث إليه ، فهتف (طارق) :

- ها هو ذا المشهد الذى أريده .

أوقف (أكرم) عرض الفيلم ، وثبت الصورة على
الشاشة ، وهو يقول :

- وما الذى يمكن أن يفيدنا به هذا المشهد ؟

أجابها (طارق) ، مشيراً إلى الشاشة :

- من الواضح أن النووى يتحدث مع المدير ، قبل أن
يفتك به ، ومما لا ريب فيه أنه يروى له سبب انتقامه
منه ، أى أنه يتحدث عن القضية ، التى تبحث عنها .

قالت (نشوى) فى اهتمام :

- هذا صحيح ، ولكننا لا نرى سوى جانب وجهه ،
ولا يمكننا تمييز ما يقوله ، أو حتى رؤية حركة
شفتيه فى وضوح .

قال (طارق) :

- بالضبط .. إننا نعجز عن قراءة شفتيه ، من هذه
الزاوية ، ولهذا سألتك عن برامج التماثل ثلاثية
الأبعاد .

تألفت عيناها ، وهى تهتف فى حماس :

- آه .. فهمت .. يا لها من فكرة !

التقى حاجبا الدكتور (حجازى) فى تساؤل ، فى
حين قال (أكرم) فى عصبية :

- هل يمكنى أن أفهم أيضا ؟

التفتت إليه (نشوى) ، قائلة فى حماس :

- سأشرح لك ما يريده (طارق) .. إنه يريد منى
أن أستخدم برنامج التماثل ثلاثى الأبعاد ، لتحريك
جسد النووى ، إلى زاوية لم تلتقطها آلات المراقبة ،
بحيث يمكننا قراءة حركة شفتيه ، ومعرفة ما قاله
لمدير المخابرات العامة ، قبل أن يقتله .

سألها (أكرم) فى دهشة :

- أهذا ممكن ؟

أجابته بسرعة :

- بالتأكيد .. البرنامج سيقوم بتحديد ومسح جسم النوى ، ثم يعمل على تكوين تماثل مجسم له ، وعندئذ يمكننا إمالة هذا التماثل ، والحصول على أية زاوية نرغب فى رؤيتها له (*) .

سألها (أكرم) فى انبهار :

- وكى من الوقت يستغرق هذا ؟

هزت كتفها ، مجيبة :

- ثلاث أو أربع ساعات على الأكثر .

اتعقد حاجباه ، وهو يقول فى حزم :

- ينبغي إذن أن تبدلى عملك على الفور ، دون

إضاعة لحظة واحدة .

والتقط سترته ، متابعاً .

- وسأقوم أنا أيضاً بعملى .

(*) بعض برامج الكمبيوتر المتقدمة ، للرسم بالأبعاد الثلاثية ،

يمثلها عمل هذا فى الوقت الحاضر .

سأله (طارق) فى قلق :

- ما الذى ستفعله بالضبط ؟

أجابته ، وهو يرتدى سترته ، ويندفع نحو الباب :

- سأفقد عملية البحث عن ذلك الوغد .

والتفت إليهم بابتسامة جذلة ، مضيفاً :

- إننى أتوق لمواجهته مرة أخرى .

قالها ، وغادر المكان ، وأغلق الباب خلفه فى حزم .

ولكنه ، وهو يقفز داخل سيارة الفريق ، وينطلق

بها نحو المدينة ، لم يكن يدرك أن تلك المواجهة

القادمة ستكون عنيفة بحق ..

عنيفة إلى أقصى حد ..

* * *

تراجعت (مشيرة) فى مقعدها فى بطن ، واتزوى

ما بين حاجبيها فى تفكير عميق ، وهى تطالع التقرير

الأخير ، الذى يحوى كل ما توصل إليه المحررون من

معلومات ، من مصادرهم المختلفة ، ولاذت بالصمت

بضع لحظات ، قبل أن تخفم :

- عجباً !

ثم اعتدلت تضغط زر الاتصال الداخلى ، قائلة :

- (حازم) .. أريدك في مكتبتي على الفور .
 لم تمض لحظات ، حتى دلف المحرّر الشاب إلى
 مكتبها ، فسألته في اهتمام :
 - قل لى يا (حازم) : من أين أتيت بتلك
 المعلومات ، الخاصة بالمقدم (نور) ، والمقرّر
 الصحراوي الجديد للفرق ؟
 ارتسمت ابتسامة مزهوة على شفתי الشاب ، وهو
 يجيب :

- لدى مصادري .
 سألته في صرامة :
 - وما هذه المصادر بالضبط ؟
 أجابها في حزم :
 - القانون يمنحني حق الاحتفاظ بسرية مصادري ،
 و ...
 قاطعته في صرامة محكمة :
 - ما تلك المصادر يا (حازم) ؟
 احتقن وجه الشاب ، وهو يقول :
 - سيدي .. ليس من حقك أن ...
 قاطعته مرة أخرى ، وهي تؤمّن بسبابتها في
 وجهه :

- اسمع أيها الشاب .. من الواضح أنك أخطأت
 تملأ فهم ذلك القانون ، الذي يمنحك حق الحفاظ على
 سرية مصادر معلوماتك .. فالقانون ، أيها العقري ،
 يحميك من أية محاولة ، من الشرطة ، أو المنافسين ،
 لكشف المصدر ، الذي حصلت منه على معلوماتك ،
 أما بالنسبة لرئيس تحريرك ، فمن المحتم أن تطلعه
 على مصدر المعلومات ، حتى يتأكد من صحتها ،
 ومن صلاحيتها للنشر والإعلان .. هل تفهم ؟
 بدا عليه التوتر الشديد ، وهو يجيب :

- نعم يا سيدي .. أفهم .
 سألت عيناها في ظفر ، وتراجعت في مقعدها ،
 قللة :
 - عظيم .. والآن .. من أين أتيت بتلك المعلومات ؟
 ازدود لعابه في توتر بالغ ، قبل أن يجيب :
 - عمى يعمل في المخابرات العلمية .
 بنت عليها الدهشة ، وهي تسأله :
 - أهو أحد ضباط الجهاز ؟
 هز رأسه نفياً ، وقال :
 - بل هو العسلول عن الاتصالات هناك ، وهذا
 ما جعله على علم بكل ما يحدث .

قالت فى دهشة :

- ولكن كيف أبلغك بهذه الأمور ؟! هذا مخالف لقانون السرية .

تردد لعابه ، قبل أن يغفم :

- سيقتلنى ، عندما يعلم أننى أبلغت الجريدة بما لدى ..

صمتت (مشيرة) تمامًا ، وعادت تستراجع فى مقعدها . وهى تتطلع إلى الشاب ، الذى بدا عليه الكثير من الاضطراب ، ثم لم تثبت أن قالت :

- فليكن .. عد إلى مكتبك ..

غادر الحجرة فى اضطراب أكثر ، وهو يغفم :

- أشكرك يا سيدتى .. أشكرك ..

ولكنه لم يكد يغادر المكتب ، حتى زائله اضطرابه هذا ، وحلت محله ابتهامة ظالمة ، وهو يلتقط سماعة الهاتف ، ويطلب رقمًا خاصًا ، ثم يقول فى خفوت :

- كل شىء على ما يرام يا سيدى .. لقد ابتلعت الطعم .

قالها ، وأنهى المحادثة على الفور ، دون أن يدرى أن (مشيرة) قد استمعت ، عن طريق جهاز يتصل بهاتفها الخاص ، إلى العبارة التى قالها . وأن هذا قد جعلها تعقد حاجبيها فى توتر شديد ، وتعاود التطلع إلى التقارير ، وهى تحك ذقتها بمسبأبتها فى عصبية ، متممة :

- إذن فالمخابرات العلمية تدس هذه المعلومات عمدًا ، على جريدة (أبناء الفيديو) .. والسؤال الآن هو لماذا ؟! لماذا تسعى المخابرات العلمية إلى إبلاغنا بمعلومات بالغة الخطورة كهذه ؟! لماذا ؟!

راحت تدبر الأمر فى رأسها مرًا ومرًا .. ولكن كل ما وضعته من تفسيرات ، لم ينجح فى إقناعها ..

لم ينجح فى هذا أبدًا .. لذا ، فقد ألقت التقارير كلها جانبًا ، مع موجة من الغضب والعدا ، شعلت كياتها كله ، وجعلتها تتخذ قرارًا صارمًا ، لا رجعة فيه ..

إنها لن تنشر هذه المعلومات ، أو تعلنها قط .. ومهما كانت النتائج ..

« كل المسارات السابقة تشير إلى هذه البقعة .. »
 أدار (أكرم) عينيه في وجوه فريق الشرطة ،
 الذي يستعد لمطاردة النوى ، وهو ينطق عبارته ،
 مشيراً إلى منطقة محدودة ، على خريطة العاصمة ،
 ثم استطرد ، ملوحاً بسبابتها :

- وهذا يعني أن وكر خصمنا يوجد في مكان ما هنا ،
 وسط أطلال (القاهرة) القديمة ، وبالتحديد في
 منطقتي (القلعة) أو (المقطم) ، ومهمتكم أن
 تنتشروا في المنطقتين ، وتعملوا على تمشيطنهما
 بمنتهى الدقة .. اهدموا كل جدار يعترض طريقكم ..
 فشقوا كل شبر .. اقلبوا كل حجر ، لو اقتضى الأمر ..
 المهم أن تتوصلوا إلى وكره .

سأله أحد الرجال في اهتمام :

- هل نشبك معه ، عندما نعرّ عليه ؟

أجابته في سرعة وحزم :

- كلا .. إياكم أن تفعلوا .. المطلوب منكم تحديد

موقعه فحسب ، وسيرتدي كل منكم درعاً واقية ،

وخوذة زجاجية داكنة ، مضادة للرصاص .

ثم تنهّد مغمضاً :



وأن هذا قد جعلها تعقد حاجبها في تؤثر شديد ، وتعاود التطلع
 إلى التقارير ، وهي تحلّ دقتها بسبابتها في عصبية

- وأرجو أن تكفى لحمايتكم ، إذا ما اضطرونا
للاشتباك معه .

تبادل الرجال نظرات صامتة ، ثم قال أحدهم فى
حزم :

- فليكن يا سيدى .. نحن على أتم الاستعداد للقيام
بالمهمة .

ابتسم (أكرم) ، قائلاً :

- عظيم .. ستغادر المكان الآن ، ونتجه مباشرة
إلى الأطلال القديمة ، وهناك سنقسم إلى فريقين ،
وسنحاصر المنطقة المطلوبة من الجانبين ، ونعمل
على تسيطها بإيقاع منتظم ، حتى نلتقى فى منتصفها
تماماً ، و ...

قبل أن يتم عبارته ، خفست الأضواء بقسوة ،
وتذبذبت كل المصابيح ، فاعتقد حاجباه فى شدة ،
وهو يتمتم :

- رباه ! ترى هل .. لا .. أرجو أن أكون واحداً .

استمر تذبذب المصابيح لدقيقة كاملة ، ساد خلالها
صمت رهيب داخل المكان ، حتى عادت تضىء فى
سطوع ، فتطلع (أكرم) إلى الرجال ، قائلاً :

هيا بنا .

- انطلقوا جميعاً إلى سياراتهم ، التى اتجهت
مباشرة إلى منطقة الأطلال ، وجلس (أكرم) إلى
جوار أكبرهم رتبة ، فى سيارة المقدمة ، وهو يمسك
مسدسه فى قوة ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فسأله
الضابط فى اهتمام :

- هل تشعر بالتوتر ؟

التفت إليه (أكرم) لحظات فى صمت ، قبل أن
يجيب فى اقتضاب :

- بل بالقلق .

غمغم الضابط :

- هذا أمر طبيعى ، عندما يخرج المرء لمهمة كهذه .
هز (أكرم) رأسه ، قائلاً :

- لست أشعر بالقلق بسبب المهمة ، وإنما بسبب
ذلك الانخفاض المباغت فى التيار الكهربى .

سأله الضابط فى حيرة :

- ولماذا يقلقك هذا ؟ لعله خلل طارئ ، فى
مولدات الطاقة القديمة .. أنت تعلم أن هذه الأشياء لم
تعد تصلح لآيامنا هذه .

هز (أكرم) رأسه في قوة ، قللاً :

- كلا .. خلال المولدات القديسة لا يفعل هذا ..

مط الضابط شفتيه ، وقال :

- ومن أدراك ؟

ليتم (أكرم) ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

- يمكنك أن تقول : إن لدى خبرة بتلك الأمور ..

تطلع إليه الضابط في حيرة وتساؤل ، ثم لم يلبث أن هز رأسه ، وقال :

- على أية حال ، يمكننا الاتصال بشبكة المولدات ، وسؤالهم عما حدث ..

قلها ، والتقط بوق اللاسلكي ، وضغط زرّه ، قللاً :

- هنا الفرقة (١) ، من قوات الشرطة الخاصة ..

أريد التحدث مع مسئول شبكة المولدات الكهربائية على الفور.

لم يكذ ينتهي من عبارته ، حتى هتف الجندي للمسئول عن فحص الطاقة ، في الفعل :

- سيدي .. منسوب الطاقة مرتفع للغاية ، في هذه المنطقة.

التفت الضابط و (أكرم) إليه في لهفة ، ووقع

بصرهما على البقعة الحمراء الكبيرة ، على شاشة

الجهاز ، فهتف (أكرم) في توتر :

- رياه ! إنه هو ..

صاح الضابط في سائق السيارة :

- أسرع يا رجل .. انحرف إلى اليسار .. أسرع ..

تلقى السائق الأمر ، ونقله بسرعة إلى خاتمة التنفيذ ،

وانحرف بالسيارة إلى اليسار ، و ..

وفجأة ، ظهر الشاب في مواجهتهم ..

وحانت قبضته مصوبة إليهم ..

وعيناه ترمقاتهم في غضب رهيب ..

وعدد فعل تلقائي سريع ، قفز (أكرم) نحو

السائق ، وهتف به ، وهو يمسك عجلة القيادة ،

ويديرها في عنف وقوة إلى اليمين :

- احترس يا رجل ..

وانحرفت السيارة إلى اليمين في حدة ..

وانطلق من إدارتها صرير رهيب مخيف ..

ولكن الشاب أطلق كراته النارية ..

واتسعت عيناه الضابط عن آخرهما ..

ودوى الانفجار ..

* * *

٤ - صاعقة الشيطان ..

الجمعة : الحادى عشر من مايو .. السابعة والربع مساءً ..

خيم صمت عجيب ، على تلك الحجرة الكبيرة ، فى المرصد الصحراوى القديم . وقد انهمك كل فرد فيها فى عمل استغرق عليه تفكيره كله ..

(طارق) والدكتور (حجازى) كانا يراجعان أوراق وأبحاث الدكتور (فؤاد) ، فى محاولة للتوصل إلى نقطة ضعف ، فى تكوين ذلك النووى ، تفيدهما فى مواجهته ، أو تحديد مرحلة انهيار خلاياه ، التى لم تفقد بعد سماتها البشرية ..

و (رمزى) انهمك فى مراجعة كل تصرفات الخصم السابقة ، فى محاولة لإعداد تقرير نفسى جديد ، يفيد فى استنتاج أو استنباط خطواته القادمة . أما (نشوى) ، فقد غاصت بكيانها كله فى صنع تلك النسخة المتماثلة للعدو النووى ، وتغيير زاوية رؤيتها ، لقراءة حركات شفتيه ، وكشف ما قاله

لمدبر المخابرات العامة ، قبل أن يقضى عليه بمنتهى الوحشية .

وكان (طارق) هو أول من اخترق ذلك الصمت المهيب ، وهو يقول للدكتور (حجازى) :

- المدهش أننا فى كل مرة ، نراجع فيها هذه الأوراق ، يمكننا التوصل إلى حقيقة جديدة .. هل لاحظت أن الانهيار الخلوى يبطئ تدريجياً ، بحيث يحتاج ذلك الشاب إلى كميات طعام وساعات نوم أقل ، فى كل مرة ؟!

أجاب الدكتور (حجازى) :

- لقد لاحظت هذا بالطبع ، وأعتقد أنه يرجع إلى فقدان الطاقة المستمر ، الذى يعيد الخلايا إلى طبيعتها البشرية تدريجياً ، فتمتعيد معدلات نومها وحاجتها للغذاء إلى حد ما .

حك (طارق) ذقته بسبائه لحظة ، قبل أن يقول فى حزم :

- منطق طريف يا دكتور (حجازى) ، ولكن من الناحية النظرية فحسب ، ولكننا نحتاج إلى دليل علمى حاسم ، ليمثلنا اعتبار هذا تطوراً فعلياً .

تتهجد الدكتور (حجازى) ، قائلاً :

- فلنأمل عثورنا عليه .

عاد (طارق) بحثاً نطقه بسبائته بضع لحظات أخرى ، وهو يتطلع فى اهتمام إلى شاشة الكمبيوتر ، ثم التفت إلى (نشوى) ، يسألها فى اهتمام بالغ :

- ما الذى توصلت إليه ؟

فرحت عينيها فى إرهاب ، مجيبة :

- لقد انتهيت من إعداد المماثل ثلاثى الأبعاد ، وبقيت مرحلة تحريكه .

سألها (رمزى) :

- ولم يستغرق هذا ؟

لتأعبت ، مجيبة :

- ساعة واحدة على الأكثر .

اعتقد حاجبا (طارق) ، وهو يقول فى قلق :

- أتعتقد ألا يستغرق الأمر ما هو أكثر من هذا ،

فالتأليج الجديدة ، التى توصلنا إليها الآن ، تشير إلى أن فترة كمونه لن تستغرق أربع ساعات ، كما كنا نتصور ، وإنما يحتمل أنه قد استيقظ بالفعل ، منذ دقائق قليلة .

عادت تعمل على الكمبيوتر فى سرعة متوترة ، وهى تقول :

- سأبذل قصارى جهدى .

أوما (طارق) برأسه ، مغفماً :

- أتعشتم هذا .

ثم التفت إلى الكمبيوتر مرة أخرى ، متابعاً :

- والآن يا دكتور (حجازى) .. أعتقد أننا يجب أن ...

قبل أن يتم عبارته ، انخفض منسوب الطاقة بفترة ، وتذبذبت المصابيح فى شدة ، فعاد الصمت يلف المكان ، مشوباً بقلق مبهم ، والجميع يتطلعون إلى المصابيح المتذبذبة ، ثم يتبادلون النظرات فيما بينهم . وفى هذه المرة ، قطع (رمزى) الصمت ، قائلاً :

- ما هذا بالضبط ؟

غمغم (طارق) فى توتر ملحوظ :

- لست أدرى ..

ارتجف صوت (نشوى) ، وهى تكبر عينيها فى وجوههم ، مغفمة :

- هل تخشون ما أخشاه ؟

هتف الدكتور (حجازى) :

.. لا .. لا يمكنه أن يعيد شحن خلاياه بالطاقة النووية .

التفت إليه (طارق) بحركة حادة ، قائلاً :

- وماذا عن الطاقة الكهربائية ؟

شحب وجه الدكتور (حجازى) ، وهو يقول :

- هل .. هل تعتقد أنه يستطيع التوصل إلى هذا ؟

استدار (طارق) إلى الكمبيوتر ، قائلاً :

- من يدري ؟

وراحت أصابعه تعمل بسرعة على أزرار الكمبيوتر ،

والجميع يتطلعون إليه فى توتر ، حتى قال فى حلق :

- يا إلهي ! هذا ممكن بالفعل .

ثم التفت إليهم ، مستطرداً فى أفعاله :

- ستكون كارثة حقيقية ، لو أنه توصل إلى هذه

الحقيقة .

غمغم (رمزى) فى شحوب :

- إلى هذا الحد ؟

تابع (طارق) ، فى كلمات سريعة متوترة :

- صحيح أن خلاياه لا يمكنها احتمال الشحن لمرة

ثانية بالطاقة النووية ، إلا أن التحورات التى أصابتها ،
من جراء العقار (سترونجالين) ، والشحن بالطاقة
النووية للمرة الأولى ، جعلتها أثبتت بطاريات قوية ،
من النوع القابل لإعادة شحنه بالكهرباء (*) ، وهذا
يعنى أنه يمكنه إعادة شحنها بالطاقة الكهربائية
العادية ، كلما تضررت منها الطاقة ، أو احتاجت إلى
إعادة تجديد .

مسألته (نشوى) فى توتر بالغ :

- هل تعنى أن يمكنه استعادة طاقته بسرعة ؟

أجابها (طارق) :

- ليس هذا فعصب ، وإنما يمكنه استعادتها من أى

مصدر كهربى بسيط أيضاً .

ثم اعتدل ، مستطرداً :

- وهذا يعنى أنه الآن مستيقظ ، ومشحون بطاقة

هائلة .

ومال إلى الأمام ، مضيفاً فى حسم :

- باختصار .. لقد صار أكثر قوة .. ووحشية .

(*) يتوافر هذا النوع من البطاريات فى الأسواق ، باسم

بطاريات (نيكل كاديوم) .

ومرة أخرى ، غمر المكان صمت مهيب رهيب ..
صمت حمل كل الانفعال ..
وكل الذعر ..

* * *

لَوْحَ الدكتور (ناظم) بيده فِى بَطْم ، وهو يطلق
زقرة حارة ، من أعماق أصاقي صدره ، قبل أن يقول :
- حمداً لله .. حالة (نور) الصحية تحسنت كثيراً ،
والأطباء يؤكدون أنه سيستعيد وعيه ، بين لحظة
والأخرى .

تتهجد القائد الأعلى بدوره ، قائلاً :
- حمداً لله .

ثم تراجع فى مقعده ، مضيقاً :
- كنا سنخسر الكثير ، لو فقدنا هذا الشاب .
والفقه الدكتور (ناظم) بإيماءة من رأسه ، قائلاً :
- هذا صحيح .. مثله لا يسهل تعويضه أبداً .
تعمق القائد الأعلى :

- بالتأكيد .

ثم اعتدل يسأله فى اهتمام :
- هل عثرت على معلومات جديدة ، بشأن ذلك
الشاب (طارق) ؟

جلس الدكتور (ناظم) على المقعد المقابل لمكتب
القائد الأعلى ، مجيباً :
- معلومة واحدة ، ربما كانت عديمة القيمة ، أو
بالغة الأهمية .. لست أرى :

سأله القائد الأعلى ، وقد تضاعف اهتمامه :
- وما هى ؟

أجاب الدكتور (ناظم) :
- لقد عرفت السبب القطعى ، لفصله من الخدمة ،
فى أمن الرئاسة .

بدا تسأول ملهوفاً ، فى عيني القائد الأعلى ، فتابع
الدكتور (ناظم) :

- لقد استغل عمله ، لجمع معلومات بالغة السرية ،
حول خطة ارتياد الفضاء .

بدت دهشة واضحة على وجه القائد الأعلى ، وهو
يقول :

- خطة ارتياد الفضاء ؟ ولماذا يعنيه أمر كهذا ؟

هزّ الدكتور (ناظم) كتفيه ، وقال :

- لقد برّر هذا فى التحقيقات ، بأنه شديد الشغف
والولع بالفضاء والتواكب والنجوم ، منذ حدثته ،

وأكد أنه لم يطلع أى شخص آخر على تلك المعلومات ، ولم تكن لديه أئنى نية فى أن يفعل .. ولقد تم التحقيق فى الأمر فعلياً ، واستغرق هذا ما يقرب من عام كامل ، اتضح بعده أنه جمع هذه المعلومات لأغراض شخصية بالفعل ، وليس لأسباب أمنية أو تجسسية ، لذا فقد اكتفى رؤسائه بفصله من الخدمة ، ولكنهم لم يسجلوا ما حدث فى ملفه ؛ ولهذا لم يعثر عليه رجالنا ، عندما أجروا تحرياتهم بشأنه ، قبل إلحاقه بالعمل هذا .

صمت القائد الأعلى بضع لحظات ، قبل أن يسأل فى اهتمام مشوب بالقلق :

.. وماذا لو أنه كرر هذا معنا ؟! أو لعله فعله بالفعل !!

لوح الدكتور (ناظم) بسياسته نفياً ، وهو يقول :

.. كلا .. لم يفعل .. لقد تحققت من هذا بنفسى ، وراجعت كل خطوة قام بها ، منذ التحق بالعمل معنا . وصمت لحظة ، هز خلالها رأسه ، قبل أن يتابع :

.. يبدو أنه قد استوعب جيداً ذلك الدرس القاسى ، الذى تمسبب فى فصله من أمن الرئاسة .

تتمتع القائد الأعلى فى خدر :
.. ربما .

وشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، ليغرق فى أفكاره بضع لحظات ، ثم يضيف فى حيرة واضحة :

.. عجيب أمر ذلك الشاب بالفعل يا دكتور (ناظم) !! إنه عبقرى ، لا يضارعه أحد فى مضماره ، على الرغم من سنوات عمره القليلة ، ولقد أثبت تفوقاً ملحوظاً ، طوال فترة عمله معنا ، وخاصة فى مراحل تطوير الوقود الأمينى ، والذى القتالى (م ف - ١٨) ، وعندما التحق بفريق (نور) ، برزت من أعماقه عشرات المواهب الأخرى ، فهو مقاتل بارع ، ومخطط استراتيجى على أرفع مستوى ، وفدائى من الطراز الأول ، وله موهبة قيادية ملحوظة .. ولكن العجيب أن كل هذا محاط بشلاف غامض ، لا يمكنك رفعه عن شخصيته قط ، حتى إنك تشعر بالقلق تجاهه ، ولكنك تعجز عن الاستقناء عنه فى الوقت ذاته .. يا للغرابة !!

ران عليهما الصمت لحظات ، ثم قال الدكتور (ناظم) فى خفوت :

- أعتقد أنك عاجز مثلي ، عن اتخاذ قرار حاسم بشأنه .. أليس كذلك ؟!

أوما القائد الأعلى برأسه إيجاباً في شرود ، واستغرق في التفكير بضع لحظات أخرى ، قبل أن يقول في حزم :

- ولكنني أعتقد أنه لا توجد ضرورة قصوى ، لاتخاذ قرار حاسم بشأنه ، في الوقت الحالي .. إنه ينل بلاء حسناً في هذه العملية ، ويمضي قداماً على نحو مدروس ، وأعتقد أن براعته ومواهبه سيفطيان غياب (نور) ، في هذه المرحلة الدقيقة .. فليواصل عمله إذن ، حتى يقضى على ذلك النووى ، أو ينجح في إيقاف وإسناد حملته الثأرية الرهيبة ، التي يعلم الله (سبحانه وتعالى) وحده ، من الذى تستهدفه في ضربته القادمة .

ثم تراجع في مقعده ، متابعاً في حزم أكثر :

- وبعد أن ينتهى هذا الأمر ، سيكون لى معه شأن آخر .

والفقه الدكتور (نازم) بإيماءة من رأسه ، دون أن ينبس ببنت شفة ، إلا أن ملامحه ظلت تحمل لمحة

من ذلك القلق ، الذى يفجّره سؤال يتروّد طوال الوقت في رأسه ..

ما سر ذلك الغموض ، المحيط بشخصية (طارق) ؟
ولماذا يشعر حياله طوال الوقت بالحيرة ؟
وبالقلق !!

لماذا ؟

لماذا ؟

لماذا ؟

* * *

احترفت سيارة الشرطة في اللحظة الأخيرة بصعوبة .
وتجاوزتها كرة النار بسنيمات قليلة ..
ولكنها واصلت طريقها ، لترتطم بالسيارة التى خلفها تماماً ..

ودوى الانفجار ..

لم يكن انفجاراً عادياً ، لو صرخ القول ..

وإنما عارضة ..

لقد انفجرت سيارة الشرطة ، بكل من فيها ،
ووثبت مع الانفجار ثلاثة أمتار إلى أعلى ، قبل أن
تهوى بكل ثقلها ونيرانها ، على السيارة التى خلفها

تماماً ، فانفجرت بدورها بمنتهى العنف ، وتطايرت شظاياهما لتخترق ثلاث سيارات تالية ، وتناثر الوقود المشتعل منهما ، ليغمر مساحة واسعة من الأرض .. واضطربت قافلة السيارات كلها ، مع تلك الانفجارات العنيفة ، واختلت مساراتها فى ارتباك شديد ، قبل أن تتوقف ، ويقفز الرجال من سياراتهم ، بمدافعهم الليزرية ودروعهم القوية ، للتصدى لذلك العدو الرهيب ..

أما السيارة ، التى تحمل (أكرم) والضابط ، وعدداً من الجنود ، فقد أدى انحرافها المبالغ إلى اندفاعها وسط الأطلال ، فارتطمت بقطع الصخور الضخمة ، وحاول سائقها السيطرة عليها عيئاً ، إلا أنها لم تلبث أن انقلبت فى عنف ، وتدحرجت بشدة وسط الصخور ، قبل أن تتوقف ، وتشتعل فيها النيران ..

وفى نفس اللحظة ، التى دفع (أكرم) جسده فيها ، خارج السيارة المشتعلة ، وراح يجذب الضابط منها ، كان النووى يطلق نحو الرجال كراته النارية الثابتة ، التى انفجرت فى صدر أحد الجنود ، واقتلعت من مكانه ، ليرطم برفاقه فى قوة ، وتنتقل النيران من جسده إليهم ..

وأطلق الجنود مدافعهم نحو العدو فى توتر بالغ .. وذابت الطلقات كلها على الغلاف الواقى المحيط به . وأطلق النووى صرخات غاضبة مجنونة ، وهو يطلق نحوهم كراته النارية ..

وسمع (أكرم) الانفجارات تدوى فى كل مكان ، وهو يبعد الضابط عن السيارة ، التى لقى كل من تبقى فيها مصرعه ، فغمغم فى حلق مرير :

- اللعنة ! لقد أخبرونا أننا سنجده نالماً ، وها هو ذا مستيقظ للغاية ، وقد تحول إلى وحش كاسر ..

أسند الضابط الفاقد الوعي إلى أحد الجدران المتهذمة ، وانتزع مسدسه من حزامه ، وتحرك على أطراف أصابعه ، نحو منطقة الصراع .. وهناك اتسعت عيناه فى ارتياح ..

كانت جثث القتلى والمصابين تغطى تلك البقعة من الأطلال ، والنيران تشتعل فى كل مكان ، وتندلع حتى فى أجساد بعض رجال الشرطة ، الذين يحدون فى كل مكان ، وهم يطلقون صرخات الألم والذعر ، فى حين واصل من تبقى منهم القتال فى يناس ، وراحوا يطلقون نيران وأشعة مدافعهم نحو النووى ،

الذى انطلقت كراته النارية تسحقهم واحداً بعد الآخر .
ولم يدرك (أكرم) ما الذى يمكن أن يفعله ، فى
موقف كهذا ، إلا أنه لم يستطع الوقوف ساكناً ،
والرجال يقاتلون بهذه البسالة ، فوثب عبر جزء من
حائط قديم ، وهتف ، وهو يطلق رصاصات مسدسه
نحو الشاب :

.. مت أيها الوغد .. مت ..
كان وثاقاً من إجادته للتصويب ، إلا أن رصاصاته
لم تبلغ الثوى قط ..
لقد ارتطمت بدرعته الكهرومغناطيسى الواقى ،
وانحرفت عنه فى عنف ..
والتفت إليه الشاب بنظرة غاضبة ..
وانطلقت منه صرخة مخيفة ..
مع كرة من النار ..
وفى نفس اللحظة ، وثب (أكرم) مبتعداً ..
ودوى الانفجار من خلفه فى عنف ..
وانتزعه من مكانه ، وطار به لسته أمتار كاملة
فى الهواء ، قبل أن يسقط فى عنف وسط الأطلال ..
وعلى الرغم من عنف السقوط ، ومن عشرات



وانتزعه من مكانه ، وطار به لسته أمتار كاملة فى الهواء ،
قبل أن يسقط فى عنف وسط الأطلال

الإصابات والمسحجات والكدمات ، التي أصابت جسده ،
 في كل موضع تقريباً ، إلا أنه لم يكد يسقط ، حتى
 وثب واقفاً على قدميه ، وأطلق بعدو مبتعداً ..
 وبوثبة مرنة مذهشة ، عبر جداراً متهدداً ، و ...
 وفي نفس اللحظة تقريباً ، أطلق النووى نحوه
 كراته النارية الجديدة ..
 وأصابت الكرة الجدار ، الذي عبره (أكرم) على
 الفور ..
 ودوى انفجار جديد ..
 وانهار الجدار كله ..
 وتأثقت عينا النووى بهريق مخيف ، أضاء المكان
 كله ، وهو يتطلع في ظفر إلى جسد (أكرم) ، الذي
 بدا جزء منه تحت الجدار المنهار ، ثم رفع قبضته ،
 ليطلق نحوه كرة نارية أخرى ..
 ولكن رجال الشرطة البواسل شنوا هجومًا جديدًا ..
 وفي هذه المرة ، من ثلاث محاور مختلفة ..
 كانت مناوراة قوية بالفعل ، فلقد انتهالت عليه
 نيرانهم ، من ثلاثة مواضع مختلفة ، على نحو يكفى
 لنسف أى خصم ..

قيما عدا هو ..
 لقد استوعب غلافه الواقى الهجوم جيداً ، فلم تبلغه
 أية رصاصات ، ولم ينفذ إليه خيط ليزرى واحد ..
 ولهذا فقد استدار إلى مهاجميه ، والغضب يشتعل
 في كل خلية من خلاياه ..
 وأطلق كراته النارية ..
 ومرة أخرى ، انطلقت صرخات الرجال ..
 لم تحمهم دروعهم الواقية ، أو خوذةهم الدائنة ..
 لقد نسفتها كراته النارية نسفاً ..
 وقضت عليهم في عنف مخيف ..
 وطارت الأجساد المشتعلة في كل مكان ..
 وأرهقت عشرات الأرواح في دقائق معدودة ..
 وسالت أنهار من الدم ..
 ثم توقف كل شيء ..
 وبرقت عينا النووى مرة أخرى ، بهريق أشد
 سطوعاً هذه المرة ، وهو يقف وسط المذبحة ، التي
 اقتربتها يداه ..
 والعجيب أنه كان يشعر بالزهو والنظف ..
 وإلى أقصى حد ..

وفي قمة نشوته ، راح عقله يسترجع أحداث
الساعات الأخيرة ..

لقد عاد إلى وكره ، والدماغ تنزف من موضع
الرصاصات ، التي أصابه بها (أكرم) ..

كان يحمل كميات الطعام ، التي استولى عليها من
المتجر ، وقدرًا هائلًا من الغضب والثورة في
أعماقه ..

ولكنه لم يكد يذف إلى وكره ، حتى اقتبه إلى
ظاهرة مذهشة ..

لقد بدأ جسده يلفظ تلك الرصاصات ..
خلاياه الخارقة رفضت وجود أي جسم غريب

داخلها ، فألقت الرصاصات خارجها ..
وسقطت الرصاصات عند قدميه ..

وكان لصوت ارتطامها بالأرض رنين جميل ..
رنين النصر ..

وتأملت عيناه في نشوة ، وهو ينفض على الطعام ،
ويلتهمه في شراهة تفوق شراهة جواد جائع ..

ولم يكد ينتهي من وجبته الضخمة ، حتى راودته
تلك الرغبة العارمة في النوم ..

ولكنه قاومها بشدة هذه المرة ..

كان يحتاج إلى معرفة ما فعلته به الرصاصات ..
وبسرعة ..

وعلى الرغم من الدور الذي أحاط برأسه ، جلس
أمام جهاز الفحص ، وراح يوصل الأسلاك بجسده ،
و ...

ودون أن يدري ، انتزع أحد الأسلاك في عنف ..
وتلامس جسده مع سلك كهربى عار ..

وشعر بالتيار الكهربى يسرى في جسده ..
وفي عروقه ..

وخلاياه ..

وتلاشى الدور على الفور ..

ودب في جسده نشاط مباغت ..
وتأملت عيناه في قوة ..

ترى ما الذى فعلته به الكهرباء ؟

أية قوة تلك ، التي سرت فجأة في عروقه ؟

ولمى لهفة ، أمسك الجزء العارى من السلك
الكهربى ، ودفعه في جسده ..

وانطلقت من حلقه صرخة قوية ..

صرخة ظافرة منتشية ..

وتذبذبت مصابيح الحجرة ، عندما راح جسده يلتهم
الطاقة الكهربائية ، فى نهم وشراهة مخيفين ..
بل وتذبذبت كل مصابيح (القاهرة) الجديدة
وضواحيها ..

وبرقت عيناه على نحو مخيف ..

وأضاعت الحجرة كلها بوميض قوى ..
للغاية ..

وفى قمة نشوته ، وشعوره بالتفوق والظفر ، غادر
النوى مكمنه ، وخرج يهدف إلى الضحية التالية ،
فى حملته الثأرية الوحشية ..
ولكنه وجد سيارات الشرطة فى مواجهته ..
وكان ما كان ..

تألفت عيناه أكثر وأكثر ، عندما استعاد تلك الذكرى
القريبة ، وأدار عينيه فيما حوله ، وكأنما يتمتع
بمرأى حمام الدم ، الذى غاص فيه حتى عنقه ، قبل
أن يطلق زمجرة وحشية ، ويغادر الأطلال ، فى
طريقه لاقتناص روح ضحية جديدة ..
وبينما راح شبحه يختفى ، وسط الظلام والأطلال ،

ندت من أسفل الجدار المنهار آهة ألم ، وتحركت
أصابع (أكرم) فى صعوبة ، ثم لم تلبث بداء أن
جامدنا ، لتبعدها عنه تلك الأحجار المحطمة ، قبل أن
يبرز رأسه من تحتها ، وهو يتمتم :
- رباه ! إتنى حى .. لقد استثنيتنى مرة أخرى من

عالم الموتى .. إتنى حى !

كان يشعر بمزيج من الفرح والدهشة ، لئجته من
موقف عنيف كهذا ، لذا فقد أخذ يرفع الأحجار
الصغيرة عن جسده ، غير مبال بالدماء ، التى تغزف
من عشرات المواضع به ، ولكنه لم يكد ينهض ،
ويلقى نظرة على ما حوله ، حتى سرت فى جسده
قشعريرة باردة ، وهو يهتف :
- رباه ! لقد قتلهم جميعاً ..

قفز شعور بالفتيان إلى حلقه ، فالتحنى يفرغ
ما بجوفه وسط الأطلال ، وهو يهتف :
- الوغد الحقير .. الوحش الآمى .. يا للبخاعة !
يا للبخاعة !

تحركت آلام عنيفة فى معدته ، جعلته يتعبد عن
المكان فى خطوات سريعة ، وهو يردد :

- لقد صدق (رمزي) .. إنه مجنون حقيقي ..
 مجنون بشع .. من غير مجنون مثله ، يمكن أن يفعل
 كل هذا ، دون أن يظرف له حقن ١٢ من ١٩ ؟
 فجأة ، ومع آخر حرف نطق به ، لمح ذلك
 البصيص من الضوء ..
 وتعلق به بصره ..
 وحياته كله ..
 وفي دهشة بالغة ، ضمغم :
 - عجباً ! المفترض ألا يصل التيار الكهربى إلى
 هنا ..

تحمس حواسه ، بحثاً عن مسدسه ، ولكن
 المسدس لم يكن هناك ، فعاد يبحث عنه عند الجدار
 المتهديم ، حتى عثر عليه ، فضمغم فى ارتياح :
 - حسداً لله .. إبنى أفتتلك كثيراً يا صديقى ..
 قالها ، وأمسك مسدسه فى قوة ، وتحرك فى حذر ،
 نحو مصدر الضوء ، ولم يكده يبلغه ، حتى تسارعت
 دقات قلبه ، وهو يغمغم :

- رباه ! أمن الممكن أن ...
 انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يتطلع إلى جزء من

الجدار ، يبرز إلى الخارج ، ويظهر الضوء من خلفه ،
 ثم حسم أمره ، وقال :
 - فليكن .. (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) (*) ..
 ثم دفع ذلك الجزء من الجدار ، وعبر الفجوة
 الناشئة بفقرة واحدة ، وهو يشهر مسدسه ، و ...
 واتسعت عيناه عن آخرهما ..
 وخفق قلبه فى عنف ، حتى كاد يشب من بين
 ضلوعه ، وهو يدير عينيه فيما حوله ، فى دهشة
 وانفعال ..

لقد عثر على وكر العدو الخارق ..
 وعلى مخزن أسلحته ..
 كل أسلحته ..

« أعتقد أنني نجحت يا رفاق .. »
 نطقت (نشوى) العبارة فى انفعال واضح ، جعل
 الجميع يلتفتون إليها فى انفعال ، وسألها (طارق)
 فى لهفة :

(*) الآية رقم (٥١) - من سورة التوبة (القرآن الكريم) :
 بسم الله الرحمن الرحيم : (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا)
 صدق الله العظيم .

- هل فعلت حقاً ؟

وراح يدفع قدمه المصابة أمامه ، ليصل إلى موقعها ، وسبقه (رمزي) والدكتور (حجازي) إليه ، والأول يسألها :

- هل يمكنك تحريك صورته الآن ؟

أجابت ، وهي تضغط أحد الأزرار :

- بالتأكيد .

تعلق بصر الجميع بالمشهد على الشاشة ، وخفت قلوبهم في قوة ، عندما دلت زاوية الرؤية ، لتواجه النووى ، وهو يتحدث إلى مدير المخابرات .. ودون اتفاق مسبق ، وعلى نحو تلقائى ، تطلع الجميع إلى عينيه ..

وارتجفوا ..

كان الشر والغضب يطلن منهما مجسمين ، وهو يحدق في ضحيته ..

وكانت شفاه تتحركان بحديث صامت ..

وانتقلت عيون الجميع إلى الشفتين ..

وفي ثوتر بالغ ، قالت (نشوى) :

- يمكننى الآن أن أضيف برنامجاً لحركات الشفاه ، و...

قاطعها (طارق) :

- لا داعى .. إنه يخبره أن ما يفعله به هو انتقام

منه ، بسبب قضية (سالم عسران) .

التفت إليه الجميع في دهشة ، فعقد حاجبيه ، مغمماً :

- كان أحد أقرب أصدقائى أبكم أصم ، ولقد اعتدت

قراءة حركات الشفاه منذ صباى .

تبادل ثلاثتهم نظرات صامتة ، قبل أن يغتم

الدكتور (حجازي) :

- لديك لكل تساؤل جواب .

ترداد انعقاد حاجبه (طارق) ، وهو يقول :

- ليس هذا هو المهم الآن .. المهم أن لدينا اسم

الشخص ، الذى يثار النووى له ، وهذا ما كنا نحتاج

إليه منذ البداية .

قالت (نشوى) فى حماس :

- صدقت .

وبسرعة ، انطلقت أصابعها على أزرار الكمبيوتر ،

تستدعى ملف قضية (سالم عسران) ، وظهرت

البيانات على الشاشة فى لحظات ، فطالعها الجميع فى

لهفة ، وقال الدكتور (حجازي) في الفعل جارف ،
لم يستطع كتماته :

- ها هي ذى .. إنه جاسوس تم إلقاء القبض عليه ،
في أوائل ثمانينات القرن العشرين ، في أثناء عمله
لحساب (إسرائيل) ، ولقد حوكم ، وصدر ضده حكم
بالإعدام ؛ لأنه قتل اثنين من حراس أحد المباني
العسكرية ، ليسرق مخطوطات بالقة السرية ..
انظروا .. ها هي ذى أسماء المشاركين في القضية ..
ضابط المخابرات ، الذي أصبح فيما بعد مديراً
للمخابرات العامة ، ووكيل النائب العام ، الذي صار
نائباً عاماً ، في أواخر التسعينات ، وضابط مباحث
أمن الدولة ، الذي احتل فيما بعد منصب وزير
الداخلية ، ثم المدعى العام العسكري ، الذي يتبوأ
الآن منصب قائد الجيوش المشتركة .

هتفت (نشوى) :

- رباه ! إذن فهذا هو ضحيته التالية .

أمسك (طارق) يدها بقوة في قوة ، وهو يشير
إلى الشاشة ، قائلاً في أفعال شديد ، لم يتصرف به
قط من قبل :

- إنكم لم تقرأوا بعد اسم الشاهد الأول في القضية .
التقلت عيونهم جميعاً إلى الاسم ، الذي يشير إليه
(طارق) ..

ثم انتفضت قلوبهم كلها في عنف ..
فالشاهد الأول في قضية (سالم عسران) ، والذي
أدت شهادته إلى إدانة المتهم ، والحكم بإعدامه ،
يحتل في الوقت الحالي ، أرفع منصب في الدولة كلها ..

منصب الرئيس ..

رئيس الجمهورية ..

شخصياً ..



٥ - الضربة ..

الجمعة : الحادى عشر من مايو .. الثامنة مساء .
على الرغم من الهدوء الشديد ، الذى ساد منطقة
الغيلات العسكرية ، عند أطراف (القاهرة) الجديدة ،
كان رجال الحراسة ، المحيطون بفيلاد ووزير الدفاع ،
يشعرون فى أعناقهم بتوتر بالغ ، جعلهم يقبضون
على مدافعهم فى قوة طوال الوقت ، ويتلفتون حولهم
فى شىء من العصبية ، وكلهم تأهب وتخفى ؛
لمواجهة أى هجوم مباغت أو خاطف ، بعد الأوامر
للمشذدة التى تلقوها ، والتحذيرات الصارمة الحازمة ،
بالإضافة إلى ما بلغهم حول سلسلة الاغتيالات العنيفة ،
خلال الساعات الأخيرة ، وأسماء المسؤولين ، الذين
لقوا مصرعهم ، على نحو بالغ العنف والوحشية ،
مع أطقم حراستهم ، التى لم يعثنها الصمود ، أمام
عدو خارق مجهول ، لا يعرف شفقة أو رحمة ، أو
هواة ..

وفى عصبية ملحوظة ، سأل أحدهم زميله ، وهو
يشير إلى ساعته :

- عجباً ! إنها لا تزال الثامنة ! ألا تشعر بأن الوقت
يسير فى بطء الليلة ؟!

تتمم زميله ، وهو يتلفت حوله فى توتر :

- هذا أمر طبيعى .

تنهّد الأول ، قائلاً :

- هل تعتقد أن ذلك السفاح سيواصل ضرباته الليلة ؟!

هز زميله رأسه نفياً ، وقال :

- لا أهد يدى .. إنهم يقولون : إن تحركاته سريعة

للاغاية ، وإنه يوجه ضربته لعدد من المسؤولين
السابقين والحاليين ، على نحو عشوائى ، يصعب
معه استنتاج موضع ضربته التالية .

وافق الأول بإيماءة من رأسه ، وأضاف ، وهو

يتلفت حوله فى توتر :

- لهذا صدرت الأوامر بمضاعفة وتشديد الحراسة ،

بالتنسبة لجميع المسؤولين ، سواء السابقين أو الحاليين .

ثم عاد يسأل زميله فى قلق :

- ولكن هل تعتقد أن هذا يعنى ؟!

مط زميله شفتيه ، وأجاب :

- لست أدري ... الصورة التي نقلها إلينا الزملاء ،
في الإدارة العسكرية ، توحي بأنه ما من وسيلة
لمواجهته . وإن كل أسلحتهم لا تؤثر فيه ، ولا ...
قاطعه زميله ، وهو يتراجع ، هاتفاً :

- رباح !

وقبل أن يلتفت إلى حيث يحدق زميله ، دوى
الانفجار ..

انفجار عنيف للغاية ، أطاح بنصف سور الفيلا
الأسير دفعة واحدة ، وارتجت له المنطقة كلها ، على
تحول لم يشهده أي من العسكريين المقيمين فيها ، منذ
انتهت حرب التحرير ..

ومع الانفجار ،لقى ثلاثة من رجال الحراسة
مصرعهم ، في حين تحرك الباقون في سرعة ،
لحماية وزير الدفاع ، والذود عنه ..
ولكن النووى انقض كالعاصفة ..

عاصفة نووية عاتية ، هبت في وجوههم ، على
هيئة سيل من الكرات النارية ، راحت تنفجر يمينا
ويساراً ، وتقتلع الرجال ، واحداً بعد الآخر ..

كان من الواضح أن قوة النووى قد تضاعفت
مرتين على الأقل ..

وأنه صار أكثر قوة ..
وشراسة ..
وجنونا ..

وعلى الرغم من وجود خطة متكاملة ، لإنقاذ وزير
الدفاع ، في حالة حدوث هجوم مباغت ، إلا أننا
لا نستطيع أن نظلم طاقم أمنه قط ، فقد كان النووى
يتحرك بسرعة مذهلة ، وعلى نحو يستحيل أن تصد
أسامه أية قوة ..

أو أية إجراءات أمنية ..
مهما كانت ..

لقد نسف الأسوار ، ومسحق كل من اعترض
طريقه ، ودمر جدران الفيلا ، واقتحمها في عنف ،
وأطلق كراته النارية على كل رجال الأمن والحراسة
داخلها ..

وكل هذا خلال عشر ثوان فحسب ..
والواقع ، الذى لا يمكن أن يختلف عليه اثنان ، هو
أن الرجال قد قاتلوا وحاربوا في استماتة ، وأن

الفريق المسئول عن الحماية الشخصية للوزير ، كان على أرفع مستوى ، من التدريب والكفاءة والقدرة .. ولكن ماذا يمكن أن يفعل كل هذا ، في مواجهة إعصار نووى مدمر كهذا ؟!

لقد اتفاهرت أمامه الجدران ، والقدرات ، ووسائل الدفاع ، والقتال ، والحماية ..

ودون الدخول في تفاصيل بشعة مؤلمة ، يكفي أن نقول : إن الأمر قد انتهى على النحو نفسه ، الذي انتهى إليه ، عند منزل مدير المخابرات العامة ..

الجميع لقوا مصرعهم ، فيما عدا الوزير ، الذي حرص النووى على الإبقاء عليه حياً ، لينتزع من مكانه بمنتهى القسوة ، ويتطلع بنظرة نارية ملتهبة ، إلى عينيه مباشرة ، وهو يقول :

- فاهن على أنك - وعلى الرغم من كل ما حدث - مازلت تجهل لماذا اخترتك بالذات ، من دون الآخرين ! أجابه الوزير في صرامة ، على الرغم من ثقته من نهايته المحتومة :

- ربما لأنك وغد قلر ، يرغب في استعراض عضلاته وفدراته ، بعدد من المذابح الوحشية ، التى جعلته

يحتل مكانة أدنى من أحقر حيوانات الأرض ، اضاعت عينها النووى ، وهو يقول :

- خطأ يا رجل .. إجابة خاطئة ، تستحق ما سافطه بك بعد قليل .

أغلق وزير الدفاع عينيه ، أمام ذلك الضوء المبهر ، المغطى من عيني خصمه ، الذى مال نحوه أكثر ، وهو يقول فى لهجة مخيفة :

- إنك تموت من أجل ما فعلته فى قضية (عسران) . قال الوزير فى توتر :

- (عسران) ؟! (عسران) من ؟!

قال النووى فى غضب :

- هل نسيت يا رجل ؟! هل نسيت تاريخك ؟! هل ضاع من ذاكرتك اسم (سالم عسران) ، الذى لم تتردد فى إعدامه ؟!

هتف الوزير فى انفعال :

- أه .. (سالم عسران) .. ذلك الجاسوس .. إتتى أنكره بالطبع .. لقد نال ما يستحقه يا هذا ، فخيائنة الوطن لا تستحق سوى الموت ، وبلا أننى رحمة . صرخ النووى فى غضب :

الموت ؟! بهذه البساطة ؟! أهذا ما كنتم تدخرونه
له ؟!

أجاب الوزير فى صرامة ، وهو يشيح بوجهه ،
متجنباً الضوء الساطع :

- بل هذا ما أخره لنفسه يا هذا .. لقد خان الوطن ،
والموت جزاء من يفعل هذا .

برقت عينا النووى أكثر ، وهو يقول :
- والموت جزاء من ألقى به إلى الموت .. عين
بعين .

صاح به الوزير :

- لا تخدع نفسك بعبارات برّاقة أنها المجرم ..
ما قلته قول حق ، يراد به باطل .. العين لا تؤخذ
بالعين ، إلا من قبل أولى الأمر ، وبناء على تحقيقات
وأحكام عادلة ، وعندما أهدمنا ذلك الجاسوس
الحقير ، كنا نطبق بالفعل مبدأ العين بالعين .. هو قتل
العارسين ، ونحن نكفاه .

ثم انعقد حاجباه فى صرامة ، مستطرداً :
- ولو أئنى أموت ، ثمناً لواجب أدبته ، بعقل وضمير
راضين ، فمرحباً بالموت .

ثم مزق قميصه عند الصدر ، هاتفاً :
- هيا ... خذ حياتى ثمناً لواجبى .

جنّ جنون النووى ، إزاء ذلك الموقف الحارم
للوزير ، فصرخ بكل غضب الدنيا :

- مادمت تشتبهى الموت ، فهذا هو ذا .

وانقض عليه يمزقه فى وحشية ، صارخاً :

- مت من أجل (عصران) .. مت من أجل ما فعلته به .

كان الجنون يصرخ ويعريد فى عينيه ، وينزاقص
فى ملامحه مع كل شياطين الجحيم ، والزيد يتساقط
من بين شفتيه ، كما لو أنه قد صار بالفعل وحشاً
ضارياً مسعوراً ..

وتناثرت الدماء فى كل مكان ، وأحاطت به فى
دائرة واسعة ، وعيناه تومضان ..

وتومضان ..

وتومضان ..

كانت النيران تشتعل فى أعماقه ، وثورة الغضب
تكاد تعصف بكياته ، على الرغم من نجاحه فى تمزيق
ضحيته الرابعة ..

بمسالة وزير الدفاع وشجاعته ، جعلناه يفقد لذة
انتصاره ..

وبدلاً من أن يشعر بالظفر ، راحت أعماقه تحترق
بالغيط ..

وأطلق النوى صرخة ثانية ..

وثالثة ..

ورابعة ..

ثم ركل أشلاء الوزير الشهيد فى حلق ، قبل أن
يتجه فى خطوات واسعة سريعة نحو القفلا ..

وبكل غضبه وثورته ، راح يبحث عن مصدر
للطاقة الكهربائية ، ولم يكد يجده ، حتى انتزع أزراره
من الجدار ، وهو يقول :

- كلهم سيموتون .. كلهم سيدفعون الثمن .. كلهم ..

ويعتقى الضف ، انتزع الأسلاك الكهربائية من

الجدار ، ودفعها فى جسده ..

وبرقت عيناه فى قوة ..

ومرة أخرى ، تذبذبت المصابيح ، فى (القاهرة)

الجديدة كلها ..

وتدفقت فى جسده طاقة هائلة ..

طاقة تكفى لإعادة شحن خلاياه بالطاقة ..

وتمنحه ضعف قواه السابقة ..

وربما أكثر ..

ولدقيقة كاملة ، ظلت الطاقة الكهربائية تنساب من
الأسلاك إلى جسده وعروقه وخلاياه ، حتى شعر بقوة
هائلة فى عيانه ، فألقى الأسلاك ، وأطلق ضحكة
ظافرة قوية مزهوة ، قبل أن يضم قبضته ، ويرفعها
إلى وجهه ، قائلاً :

- الآن لم أعد بحاجة إلى ذلك النوم العميق .. ها هى
ذى خلاياي تعيد شحن نفسها بالطاقة الكهربائية ..

بدا من بعيد دوى أبواق سيارات الأمن والإطفاء ،
التقى تهرع إلى المكان ، ولكنه لم يبال بها ، وهو يدير
عينيه المتألفتين فى المكان ، قبل أن يغتم :

- فليم الانتظار إذن ؟

وفى زهو ، راح يتحرك نحو مدخل المكان ،
وغلاف الإخفاء يحيطه تدريجياً ، حتى تلاشى تماماً ،
وهو يغادر المكان كله ، متجاوزاً سيارات الأمن ،
ومتجهاً مباشرة نحو هدفه الأخير ..

نحو الرئيس ..

رئيس الجمهورية ..

للدقيقة كاملة تقريباً ، وقف (أكرم) مبهوراً ،
داخل وكر التلوى ، يدور عينيه فيما حوله ، منشغلاً
عن آلام إصاباته المتعددة ، وعن الدماء التي تسيل
من كل مكان بجسده تقريباً ، ثم لم يلبث أن هتف في
الفعال شديد :

- رباه ! إنه ليس مجرد وكر عادي ، إنه مركز
قيادة متقدم .

ثم رفع ساعته إلى شفتيه ، وضغط زر الاتصال
فيها ، وهو يقول :

- من (أكرم) إلى الفريق ... لن يمتنع من أن
تتصوروا أين ألق الآن يا رفاق .

أتاه صوت (نشوى) وهي تهتف في لهفة :
- (أكرم) .. أين أنت ؟ لقد بلغتنا أخبار هجوم
ذلك التلوى على قافلة الشرطة .. لقد خشينا أن ...
قاطعها في حزم :

- ليس بهذه السهولة يا صغيرتي .. لن يقال مني
ذلك الوعد ، قبل أن أغرق رأسه في بحور الدماء
التي أراقها .

اتبع صوت (طارق) ، عبر الساعة ، وهو يسأل
في اهتمام :



ثم رفع ساعته إلى شفتيه ، وضغط زر الاتصال فيها ، وهو يقول :
- من (أكرم) إلى الفريق ؟

- أين ذهب ، بعد مذبحه الشرطة يا (أكرم) ؟

أجابه (أكرم) بنقاد صبر :

- لست أدرى يا (طارق) .. لقد ارتكب فعلته
الغفيرة ، وانصرف فحسب .. ولكن المهم ما توصلت
إليه أنا وسط الأطلال .

هتف (طارق) فى حماس :

- لا تقل لى إنه ..

قاطعه (أكرم) فى حماس أكبر :

- وكره .. نعم يا صديقى .. أنا أقف الآن وسط

وكر ذلك الوغد .

جاوبه صمت مطبق ، استمر لدقيقة كاملة تقريباً ،

حتى إنه سأل فى توتر :

- (طارق) .. هل تسمعنى ؟

أناه صوته هادئاً للغاية ، على نحو مثير للدهشة ،

وهو يسأله :

- صف لى ما تراه يا (أكرم) .

لم يتوقف (أكرم) طويلاً ، أمام ذلك التغيير

المفاجئ ، وكأنما اعتاد تلك الطبيعة المتقلبة لعضو

الفريق الجديد ، وإنما راح يصف المكان المحيط به

بمغنتهى الدقة ، و (طارق) يستمع إليه فى اهتمام

بالغ ، مع (نشوى) والدكتور (حجازى) ، ولم يشد

يصل إلى وصف أجهزة الكمبيوتر والفحص ، حتى

سألته (نشوى) فى لهفة :

- قل لى يا (أكرم) : هل يوجد وسيط هاتفى فى

الكمبيوتر (*) ؟

أشعل (أكرم) الكمبيوتر ، وهو يقمغم :

- لست أدرى .. أخشى أن يكون الجهاز مؤمناً بكلمة

سر أو ما شابه .

انتهى من عبارته ، وهو يتطلع إلى الشاشة فى

قلق ، ثم لم يلبث أن مضى شفطيه فى أسف ، قائلاً فى حق :

- هناك كلمة سر بالفعل .

أجابته (نشوى) :

- لا بأس .. كنت أتوقع شيئاً كهذا .. اسمعنى جيداً

يا (أكرم) .. هل يمكنك أن توصل ساعتك بالكمبيوتر ؟

(*) الوسيط الهاتفى للكمبيوتر : أو (المودم) هو جهاز يتم

توصيله بجهاز الكمبيوتر ، داخلياً أو خارجياً ، بحيث يمكنه نقل

الرسائل والمعلومات عبر الهاتف ، بسرعات مختلفة ، طبقاً لنوعه

وكفاءته وتعمه .

أجابها في اقتضاب ، وهو يجذب سلكاً دقيقاً من الساعة :

- بالتأكد ..

وفي سرعة ودقة ، راح يوصل السلك بالكمبيوتر ، وصوت (طارق) ينبعث من الساعة ، قائلاً في قلق :
- أسرع يا الله عليك يا رجل .. ربما يعود ذلك الوغد في أية لحظة .

فجر ذلك القول كل القلق ، في أصصاق (أكرم) ، ولكنه واصل عمله ، متمتماً :

- أعلم هذا .. أعلم هذا .

انتهى من توصيل الكمبيوتر بالأسلاك ، وقال :

- كل شيء تم على ما .. يا (نشوى) :

أجابته عبر جهاز الاتصال :

- عظيم .. سأوصل جهاز الكمبيوتر الخاص بي بجهازه ، عبر جهاز الاتصال في الساعة ، وسأستخدم برنامجاً جديداً لك الشفرة ، واتسّم ألا يكون قد استخدم كلمة سر معقدة كثيراً .

تطلع (أكرم) إلى مدخل الوتر في قلق ، قائلاً :

- أما أنا ، فأتسّم أن ينتهي هذا ، قبل أن أجد ذلك الوغد أمامي هنا .

لم تجبه (نشوى) هذه المرة ، فقد ظهرت أمامها شاشة كمبيوتر النوى ، في ركن شاشتها ، وبدأت تتعامل معها ببرنامجها الجديد في سرعة ، للتوصل إلى كلمة السر ..

وفي توتر ، راح (طارق) و (رمزي) والدكتور (حجازي) يراقبونها ، وقال الأخير :

- ينبغي أن نترك (نشوى) هذه المهمة الآن ، ونبلغ رئاسة الجمهورية بما توصلنا إليه على الفور .. من الخطر أن تعلم أن رئيس الجمهورية هو الهدف التالي ، ثم لا نبلي به هذا ، وبأقصى سرعة ممكنة .. التفت إليه (رمزي) ، قائلاً :

- أنت على حق .. لابد أن نبلي به بالأمر على الفور .

قالتها ، وهو ينهض إلى هاتف الفيديو ، ولكن قبل أن تبلي به أصابعه ، اطلق أزيزه بقتة ، حتى أن أصابعه ارتجفت في قوة ، ثم اندفعت تضغط زر الاتصال ، فظهرت على الشاشة صورة الدكتور (ناظم) ، وهو يقول في انفعال :

- النوى ضرب ضربته الجديدة الآن .

خفقت قلوبهم في عنف ، وأطلق الذعر من عيونهم ، قبل أن يهتف (رمزي) :

- سيدي .. هل نجح في ضربته هذه ؟!

أجاب الدكتور (ناظم) في مرارة :

- أجل ، للأسف .

شهقت (نشوى) في قوة ، وتبادل (طارق)

والدكتور (حجازي) نظرة مذعورة ، في حين هتف

(رمزي) في ارتياح :

- رباه ! الرئيس !

انعقد حاجبا الدكتور (ناظم) في شدة ، وهو يقول :

- الرئيس ؟! ماذا تقصد ؟! لقد اغتال وزير الدفاع

منذ دقائق .

ردد (رمزي) في ذعر :

- وزير الدفاع ؟!

وقال (طارق) في انفعال :

- لم يتبق سوى الرئيس إذن .

هتف الدكتور (ناظم) في عصبية :

- عم تتحدثون ؟! أن يخبرني أحدكم بما لديكم ؟!

أجاب (رمزي) على الفور :

- لقد توصلنا إلى القضية ، التي يسعى ذلك النوى

للشأ من أجلها ، وحصرنا كل من يسعى خلفهم ،

وكان من بينهم اسم رئيس الجمهورية شخصيا .

امتقع وجه الدكتور (ناظم) في شدة ، وهو يهتف :

- رئيس الجمهورية ؟! يا إلهي !! هذا مستحيل !

أجاب (رمزي) في حزم :

- لا توجد مستحيلات الآن يا دكتور (ناظم) ..

إننا نتحدث عن وقائع .. ذلك الشاب يسعى للانتقام ،

بسبب قضية جاسوس ، حوكم وأدين في ثمانينات

القرن العشرين ، بتهمة التخابر مع (إسرائيل) ،

وصدر الحكم بإعدامه حينذاك .. جاسوس اسمه (سالم

عسران) .

سأله الدكتور (ناظم) في توتر :

- وما صلة ذلك النوى بالجاسوس (سالم عسران)

هذا ؟!

توقفت (نشوى) عن عملها ، وتبادلت مع (طارق)

والدكتور (حجازي) نظرة متوترة ، في نفس اللحظة ،

التي أجاب فيها (رمزي) ، سؤال الدكتور (ناظم) ،

قللا :

- لم نتوصل إلى تلك الصلة بعد ، ولكننا نيقنا من

أنها القضية ، التي يسعى خلفها ، وبناء على هذا ،

فصاحبه التالية هي رئيس الجمهورية نفسه .

ثم مال نحو الهاتف ، متابعاً في حزم :

- اسمعني جيداً يا دكتور (ناظم) .. لابد من إبلاغ

السيد رئيس الجمهورية على الفور ، والعمل على نقله ،

بمئتي التكتم والسرية ، من مقر الرئاسة ، إلى مكان

سري مأمون .. وليكن أحد المخاض النوية مثلاً .

بدا التوتر والتردد على وجه الدكتور (ناظم) بضع

لحظات ، ثم قال في عصبية :

- الأمر ليس بهذه السهولة أيها السادة .. إنكم

تتحدثون عن إجراء خاص برئيس الجمهورية شخصياً ،

وهذا أمر يخضع لعشرات القواعد والتفاصيل الدقيقة

والمعقدة ، فهناك ارتباطات والتزامات اجتماعية

ومياسية ، و ...

قاطعته (رمزي) في حدة :

- فليذهب كل هذا إلى الجحيم يا رجل .. إننا نتحدث

عن حياة رئيس الجمهورية وهذا أمر لا يخضع إلا

لمبدأ واحد لا غير .. الحياة أو الموت .. فأيهما تختار !!

تردد الدكتور (ناظم) بضع لحظات ، ثم كرر في

خفوت :

- الأمر ليس بهذه البساطة .

احتقن وجه (رمزي) في غضب ، وانعقد حاجبها

الدكتور (حجازي) في توتر بالغ ، في حين غمغم

(طارق) :

- يا للسخافة !

ومطت (نشوي) شفيتها ، وهي تواصل عملها في

سرعة ، لك شفرة الإدخال ، في كمبيوتر النوى ..

وفي عصبية ، قال (رمزي) :

اسمعني جيداً يا دكتور (ناظم) ..

قاطعته الدكتور (ناظم) في عصبية :

- اسمعني أنت يا دكتور (رمزي) .. لقد قمتم

بالجزء الخاص بكم من العمل ، وأبلغتمونا بالأمر ،

وعلينا نحن القيام بالجزء الخاص بنا .. سأعهد

بالأمر إلى أحد خبراءنا ، لمراجعة كل ما يتعلق بقضية

(سالم عسرا) هذه ، وسيتم كل هذا بأقصى سرعة

ممكنة ، وقبل أن يستيقظ ذلك النوى من سبات

ما بعد المذابح ، ستكون قد حسعنا الأمر ، واتخذنا

الإجراء المناسب .. انتهت المحادثة .

واقطع الاتصال على الفور ، فقعده (رمزي)

حاجبيه ، وقال في حق :

- مستحيل ! مستحيل أن يكون هذا هو أسلوب العمل ، في قضية كهذه !

تطلعت إليه (نشوى) لحظة ، ثم بدا عليها الغضب ، وهي تعاود عملها في مرعة ، في حين زفر الدكتور (حجازى) في توتر ، مغمضاً :

- عجباً !!

أما (طارق) فمط شفتيه في الزراء ، والتفت إلى (نشوى) ، يسألها :

- هل توصلت إلى شيء ؟

أجابته في اهتمام :

- إنها شفرة إدخال محدودة ، وسأتمكن من تجاوزها خلال دقيقة واحدة ، بإذن الله (سبحانه وتعالى) .

تطلع إليها (رمزى) لحظة ، قبل أن يلقي جسده على أقرب مقعد إليه ، ويداعب ذقنه بمسبأته وإبهامه ، مستغرقاً في تفكير عميق ، في حين شفتت (نشوى) :

- (أكرم) .. لقد توصلت إلى الشفرة .. سيتم فتح الكمبيوتر على الفور .

التقط (أكرم) عبارتها ، عبر جهاز الاتصال الدقيق في ساعته ، فتطلع في اهتمام إلى شاشة الكمبيوتر ، ورأى الجهاز يبدأ عمله بالفعل ، بعد أن تجاوزت (نشوى) شفرة الإدخال ، وعبرت كلمة السر ، فانتزع ملك الساعة من الكمبيوتر ، قائلاً :

- هذا ما حدث بالفعل .. وهو يحوى وسيطاً هاتفياً ،

بسرعة مليون وحدة في الثانية الواحدة .. إنه أحد الأنواع المتطورة الحديثة (*) .

أجابته في اهتمام :

- عظيم .. استخدم ذلك الوسيط الهاتفى إذن ، واطلب

بوساطته رقم وسيطنا الهاتفى ، واترك لى الأمر بعدها .

ألقى (أكرم) نظرة أخرى شديدة القلق ، على

مدخل الوكر ، وهو ينفذ ما طلبته منه ، متوقفاً

وصول ذلك النوى ، بين لحظة وأخرى ، وعندما

انتهى من عمله ، سمع (نشوى) تقول ، عبر جهاز

الاتصال في الساعة :

- عظيم .. جهازنا الآن على اتصال مباشر بجهازه ،

(*) تبلغ أقصى سرعة معروفة للوسائط الهاتفية ، في الوقت

الحالى ثلاث وثلاثون ألفاً وستمائة وحدة في الثانية .

وساعد على نقل كل بنك معلوماته إلينا ، بأقصى سرعة ممكنة .

ظهرت على الشاشة علامة نقل المعلومات بالفعل ، و (طارق) يقول :

- (أكرم) .. هيا .. غادر ذلك المكان على الفور يا رجل .. لقد فعلت كل ما يمكنك فعله هناك .. أسرع يا رجل ، قبل أن يعود ذلك الوغد ، ويطبق عليك في وكره .

صمت (أكرم) لحظة ، ثم انعقد حاجباه في صرامة ، وهو يقول :

- كلاً يا (طارق) .. لم ينته عملي هنا بعد .
ثم استلزع قبلة شديدة التفجير من حزامه ، مستطرها في حزم :

- ما زالت لدى مهمة ، مستبدأ فور انتهاء (نشوى) من عملها .

وضم شفتيه في قوة ، مضيقاً :

- مهمة ستشغلي الكثير من غليلي .

ساد الصمت بضع لحظات ، في الجانب الآخر ، قبل أن يأتى صوت (طارق) ، قائلاً :

- افعل ما يروق لك يا رجل .

قالها (طارق) ، وأنهى الاتصال ، فتنهذ (أكرم) في حراسة ، وأمسك فتيل القبلة ، قائلاً :

- نعم يا رجل .. سأفعل ما يروق لى ... بالتأكيد .
وبقلب يخفق في علف ، تعلقت عيناه بشاشة الكمبيوتر ، التى تعلن أن عملية نقل المعلومات تمضى قدماً ..

وبعنتهى السرعة ..

أما في مقر الفريق ، فقد ساد صمت عجيب ، و (نشوى) تنقل تلك الفيض من المعلومات ، من كمبيوتر النوى إلى كمبيوتر الفريق ، عبر الوسيط الهاتفي المتقدم ، في حين غرق (رمزي) في لجة عميقة من الأفكار ..

كان يدير الأمر في رأسه مرات ومرات ..

ولم يكن يشعر بالارتياح قط ..

عقله ، وخبراته ، بالإضافة إلى شسء ما ، يكمن في باطنه ، كانوا يرفضون إضاعة لحظة واحدة ، دون تحذير رئيس الجمهورية ..
ولكنه كان يحتاج إلى دليل ما ..

نقطة مضيلة ، تجعله يستخرج ما بأعماقه ،
ويطرحه على عقله الواعي ، ليدرك ما الذى يصيبه
بكل هذا التوتر ..
ولكن حاجزاً ما كان يعترض الطريق ، ما بين عقله
الباطن والواعي ..

وكان هذا يصيبه بتوتر بالغ ..
إنها أول مرة ، يواجه فيها أمراً كهذا ..
أول مرة ، يعجز فيها عقله عن تحليل موقف ما ..
وهذا ما يقلقه ..
وبخيفه ..

ويملاً نفسه حنقاً وتوتراً ..
المفترض أنه الخبير النفسى للفريق ..
وها هو ذا يحتاج إلى خبير نفسى ..
يا للسخافة ! ..

صحيح إنه بشر ، وما من بشر كامل ..
فالكمال لله (سبحانه وتعالى) وحده ..
ولكن الخبراء غير مسموح لهم بالخطأ أو التقاعس ..
قط ..

« لقد انتهيت من نقل كل تلك معلوماته إلينا .. »

قطعت (نسوى) سبل افكاره ، وهى تنطق تلك
العبارة ، فالتفت إليها فى سرود ، وسمعها تسأل
(طارق) فى قلق :

- ترى ما الذى سيفعله (أكريم) هناك ؟!

أجابها (طارق) بسرعة :

- سينسف الوكر بالتأكيد ..

قالت فى دهشة :

- ولماذا يفعل ؟! هل جازف بحياته ، للقيام بأمر

يمكننا القيام به فيما بعد ؟!

هز (طارق) كتفيه ، قائلاً :

- ولماذا لا يقوم به الآن ؟! ما دامت الأمور تسير

على ما يرام ، فلماذا يضيع الوقت ؟! فليضرب

ضربته على الفور ..

اتصت عينا (رمزي) فى شدة ، عندما اخترقت

تلك العبارة الأخيرة أذنيه ، وشعر بأنها قد ارتطمت

بذلك الحاجز ، بين عقليه ، الباطن والواعي ، ونسفته

نسفاً ، على نحو جعله يقفز من مقعده ، هاتفاً :

- نعم .. مادامت الأمور تسير على ما يرام ، فلماذا

يضيع الوقت ؟!

التفت إليه الجميع في دهشة ، وضمغم (طارق) :

- ماذا حدث بالضبط ؟

ضبط (رمزي) أزرار هاتف الفيديو في لهفة ،
وهو يجيب :

- ذلك النوى لن ينتظر هذه المرة .. لقد وجد
الوسيلة لإعادة شحن خلاياه ، ولم يعد لديه سيرر
لإضاعة لحظة واحدة .. لقد اغتال وزير الدفاع .
وسينقل إلى الضريبة القتالية مباشرة .. إلى رئيس
الجمهورية .

قبل أن يتم الاتصال ، تذبذبت أضواء الحجرة بفترة
في شدة ، فتوقفت سحابتها ، ورفع عينيه إلى
المصالح ، متعجباً :

- يا إلهي ! إنه يعيد شحن جسده ثانية .

اتعقد حاجبا (طارق) في شدة ، واندفع فجأة نحو
(رمزي) ، وأمسك بمعصمه ، قائلاً في حزم :

- الاتصال لن يفيد الآن .

قال (رمزي) في عصبية :

- ماذا تعني ؟

أجابته بسرعة :

- ليس لدينا ما يكفي من الوقت ، للدخول في
مقاهات سياسية وروتينية ، أو حتى في مناقشة حول
القواعد التي ينبغي اتخاذها ، لتعذيب رئيس
الجمهورية من خطر داهم كهذا .. لقد بدأ ذلك الوغد
تحركه ، ولابد من اتخاذ طريق سريع وحاسم .

سأله (رمزي) في توتر بالغ :

- مثل ماذا :

- تطلع إليه (طارق) لحظة في صمت ، ثم التفت
إلى (نشوي) ، وسألها :

- هل يمكنك التسلل إلى كمبيوتر أمن الرئاسة ؟

اتعقد حاجبا (نشوي) ، وهي تقول :

- لن يكون هذا بالأمر السهل ، فهم يستخدمون
شفرة شديدة التعقيد ، و ...

قاطعها في حزم :

- لدى تلك الشفرة .

تفجرت الدهشة في وجوههم جميعاً ، فحدقوا فيه
على نحو جعله يقول في توتر :

- سأشرح لكم فيما بعد كيف حصلت عليها .

ثم شد قامته ، متابعاً :

- المهم الآن أن نتجس في التسلسل إلى الكمبيوتر .
دون أن يكشف أمن الرئاسة هذا .

غمقت في حذر :

- مع وجود شفرة الإنخال ، لن يكون هذا عسيراً .
أثارت بيده ، قائلاً :

- عظيم . ولكن الأمر لن يقتصر على الدخول إلى
كمبيوتر أمن الرئاسة فحسب ، ولكن سيكون عليك
تشغيل برنامج خاص داخله ، وبمنتهى السرعة .
غمقت :

- سأبذل قصارى جهدى .

بدا عليه الارتياح ، وهو يقول :

- فى هذه الحالة ، سأشرح لك خطتى .

وعندما بدأ الشرح ، تعلقت به عيون الجميع فى
انبهار تام ..

فمرة أخرى ، أثبت (طارق) عبقريته ، فى هذا
المضمار ..

لقد كانت فكرته جديدة ومبتكرة ، و ...
وحاسمة ..

والى أقصى حد .

★ ★ ★

٦ - الرئيس ..

الجمعة : الحادى عشر من مايو .. التاسعة والرابع
مساء .

« من وحدة المراقبة (م-٣) إلى الوحدة الرئيسية ..
الساعة ألفين ومائة وخمسة عشر ، وكل شيء على
ما يرام .. »

رؤد رئيس وحدة المراقبة الثالثة العبارة ، وهو
يتطلع فى اهتمام إلى شاشات المراقبة ، التى تنقل
ما يدور حول مقر الرئاسة ، ثم أنهى الاتصال ، وفرك
عينيه فى قوة ، قبل أن يقول لمساعدته الأول :

- يا له من موقف ! الأوتار كلها مشدودة إلى
أقصى حد ، والجميع فى حالة قصوى من التوتر
والقلق .. إننى لم أشهد موقفاً كهذا قط ، منذ التحقت
بالعمل هنا .. يبدو أن ذلك الشخص يقتر ذعر الجميع
بالفعل .

هو مساعدته كتفيه ، وقال :

- لقد قرأت التقارير بنفسك ، ورأيت ما فعله
بالباحثين .

تتهدد رئيس الوحدة ، وهو يقول :

- أنت على حق يا رجل .. أنا نفسي أشعر بالذعر
من هذا الموقف ، وأتمنى لو أمكننا تجاوزه بأية
وسيلة كانت .

غمغم المساعد .

- المهم أن نتجاوزه في نجاح .

ابتسم رئيس الوحدة في عصبية ، قائلاً :

- وعلى قيد الحياة .

أراد المساعد أن يقول شيئاً ما ، إلا أن هذا لم يبد
لائقاً ، في مثل هذا الموقف ، فاحتفى بهزة رأس .
قبل أن يعقد ساعديه أمام صدره ، ويواصل التطلّع
إلى شاشات المراقبة ، و ...

ولحظة ، ظهرت بقعة حمراء كبيرة على الشاشة ،
وانطلق أزيز قوى من الأجهزة ، التي راحت تسجل
مستويات عالية من الطاقة ، على نحو يفوق المعتاد ،
فقفز رئيس الوحدة من مقعده ، هاتفاً :

- رباح ! إنه هجوم ..

اتسعت عينا المساعد في توتر بالغ ، وهو يحدق
في بعض الأجهزة ، قبل أن يقول :

- ولكن أجهزة الفحص المباشر لا تسجل أية تغيرات .
حدق رئيس الوحدة مرة أخرى في الشاشة ، والبقعة
الحمراء المتحركة فوقها ، قبل أن يقول في حزم :
- لا يمكننا أن نخاطر يا رجل .. لا يمكننا أن نخاطر
قط .

قالتها ، وضغط زر الإنذار ، هاتفاً عبر أجهزة
الاتصال :

- هنا وحدة المراقبة (م - ٣) .. أجهزتنا سجلت
هجوماً ، على الجانب الأيسر لمقر الرئاسة .. الساعة
ألفان ومائة وعشرون .. إنذار عام بالهجوم .
وقبل حتى أن تنتهي عبارته ، كان فريق حراسة
السيد رئيس الجمهورية قد بدأ عمله بالفعل ..
لقد أحاط خمسة منهم بالسرايل وزوجته ،
والبسوهما زيين واقيين ، من طراز (م ف - ١٨) ،
ونقلوهما في سرعة إلى نفق سرى ، في الطابق
الأول تحت الأرض ، في مقر الرئاسة ..

وفي الوقت ذاته ، حُلِّت أَلْيَا ، وبوساطة أجهزة خاصة للتحكم عن بعد ، هليوكوبتر تحمل شعار رئاسة الجمهورية ، على نحو يوحي بأن الرئيس وزوجته قد استقلّاهما بالفعل ، وانطلقت سيارة الرئيس المصفحة الخاصة ، مبتعدة عن المقر ..

وبينما تتم تلك الخطوة الخداعية المزدوجة ، كانت وسيلة نقل خاصة ، تنطلق بالرئيس وزوجته ، مع طاقم حراستهما الخاص ، فوق قضيب مغطيسي منفرد ، وبسرعة مائتي كيلومتر في الساعة ، عبر نفق الطوارئ ، إلى مطار مري صغير ، يبعد عشرة كيلومترات عن مقر الرئاسة ، حيث كانت تنتظرهما طائرة نفائثة ، مع ست مقاتلات عسكرية ، من أحدث الأنواع وأكثرها قوة ..

وبسرعة مدهشة ، استقلّ الرئيس وزوجته ، وطاقم الحراسة الخاص ، تلك الطائرة النفائثة ، التي حُلِّت بهم على الفور ، وخلفها المقاتلات العسكرية الست ، لحمايتها من أي خطر ..

وعلى الرغم من أن كل هذا لم يستغرق سوى خمس دقائق فحسب ، كانت الطائرة تحلق بعدها في

سماء (مصر) ، في طريقها إلى مقر سرى ، في قلب الصحراء الغربية ، إلا أن هذه النفاثات الخمس بدت لرجال الأمن ، الذين تبعوا في مقر الرئاسة ، أنشبه بدهر كامل ، وهم يراقبون الشاشات ، التي بدت فوقها تلك البقعة الحمراء في وضوح شديد ، وهي تتقدم وتتقدم من أسوار المقر ..

وفي حيرة ، قال رئيس فريق المراقبة المباشرة :
- عجباً ! على الرغم مما تنقله الشاشات ، لست أرى شيئاً يقترب .

أجابه أحد رجاله ، في ثوتر بالغ :
- يقولون إن ذلك العدو يمتلك قدرة مدهشة ، على إخفاء جسده تماماً .

صمت الرجل لحظة ، ثم غمغم :
- ربما .

ثم يكد ينطق عبارته ، حتى ارتفع أزيز جهاز الاتصال الخاص به ، فالتفت له من حزامه في سرعة ، وقال في انفعال :

- من المتحدث ؟

أجابه صوت مهندس المراقبة الأول ، وهو يقول :

- سيدى .. إنه إنذار زائف .. لقد خدعنا .

اتسعت عينا الرجل فى ارتياح ، وهو يهتف :

- خدعنا ؟

أجاب المهندس فى حدة :

- نعم يا سيدى .. لقد تسلل بعضهم إلى الكمبيوتر ،

والتسلل برنامج التدريب المماثل ، الذى سجل هجوما

فضائيا وهميا ، على شاشات المراقبة .

اتسعت عينا الرجل فى طلع ، وقال بصوت مرتجف :

- بعضهم تسلل إلى الكمبيوتر ؟! هل تدرك معنى

ما تقوله يا رجل ؟! هل تعرف كم كارثة تحدثت عنها

* فى أن واحد ؟! لقد نجح بعضهم فى التسلل إلى

كمبيوتر أمن الرئاسة ، الذى يحوى أدق أسرار الدولة

وخطاها .. وليس هذا فحسب ، وإنما نجح أيضا فى

خداعنا بهجوم وهمي ، جعلنا نطلق إنذارا زائفا ، على

أعلى مستوى ، دفع رئيس الجمهورية لتنفيذ خطة

الطوارئ القصوى ، والاطلاق بعيدا عن مقر

الرئاسة .. كيف يمكننا شرح ما حدث لسيادته ، بعد

عودته إلى هنا يا رجل ؟! هل تعتقد أنه سيكتفى

بفصلنا ، أم سيحيلنا إلى محاكمة عسكرية ، أم

قبل أن يتم عبارته ، انطلقت من جهاز الاتصال شهقة

قوية ، جعلته يتوقف فى ثوتر ، ويهتف فى عصبية :

- ماذا يحدث عندك يا رجل ؟!

أتاه صوت المهندسين ، عبر جهاز الاتصال ، وهو

يصرخ :

- هجوم يا سيدى .. هجوم حقيقى ، على السور

الأمير .

اتسعت عينا الرجل مرة أخرى ، وأدار عينيه فى

حركة حادة إلى السور الأمير لمقر الرئاسة ، و ...

وفى نفس اللحظة ، دوى الانفجار ..

وانطلقت العاصفة ..

النوعية ..

تحرك الجميع فى أفعال شديدة ، فى مبنى جريدة

(أنباء الفيديو) ، وعلى رأسهم (مشيرة) ، التى

بدت شديدة التوتر ، وهى تقود فريقها ، هاتفية :

- إنه هجوم على مقر رئاسة الجمهورية نفسه ،

بعد أقل من ساعة واحدة ، من اغتيال وزير الدفاع ..

الأمر لا يحتمل إضاعة لحظة واحدة .. أريد فريق

تصوير متكامل ، وثلاث طائرات غنيوكوبتر ، وخبير كمبيوتر ، وسيارة بث كاملة ، و

اندفعت سكرتيرتها تقاطعها في توتر ، قائلة :

- سيدتى .. زوجك (أكرم) هنا .

التفتت إليها (مشيرة) فى دهشة ، هاتفة :

- (أكرم) ؟ هنا ؟

ثم اتفقد حاجبها فى غضب ، وهى تستطرد فى حدة واستتكار :

- الآن ؟

ارتبكت السكرتيرة ، وهى تقول :

- سيدتى .. أعلم أن الوقت غير مناسب ، ولكن

هيلته جعلتنى آ ...

قاطعتها (مشيرة) فى غضب صارم :

- ألا تدركين ما يحدث ؟ ألم يمكنك استيعاب

الموقف ؟ إنهم يهاجمون مقر رئيس الجمهورية ،

وهذا قد يعنى حدوث انقلاب عسكرى ، أو إعلان

حرب كبرى ، وعلى الرغم من هذا ، فأنت تخبريننى

أن زوجى هنا .. هل تتصورين أن أترك كل هذا ،

وأهرع إليه .

ارتبكت السكرتيرة ، وغمقت :

- معذرة ، ولكن ..

قاطعها فجأة صوت (أكرم) ، وهو يقول فى

صرامة :

- هذا ما ينبغى أن تفعله أية زوجة وفيه مخلص .

التفتت إليه بحركة حادة غاضبة ، ولكن لم يكـد

بصرها يقع عليه ، فى هيلته المزرية ، والدعاء الجافة ،

التي تلوث ثيابه وجسده ، وحتى هتفت :

- رياه ! ماذا حدث ؟! ماذا أصابك ؟

أمسك بمعصمها فجأة فى قوة ، وجذبها إلى مكتبها

فى شئ من القسوة ، قائلا :

- تعالى .. سأخبرك فى مكتبك ..

هتفت فى حدة :

- (أكرم) .. إنك تؤلمنى .. ولن يمكننى إضاعة

لحظة واحدة .. الموقف بالغ الخطورة .

أجابها فى صرامة ، وهو يدفعها داخل حجرة

مكتبها ، ويصفق الباب خلفهما فى عنف :

- لهذا ينبغى أن أتحدث إليك .

جذبت معصمها من بين أصابعه فى حدة ، وقالت

فى عصبية :

- يبدو أنك لا تدرك ما يحدث .. إنهم يهاجمون مقر الرئاسة .

سألها في صرامة :

- لماذا لم يدع خبر انتقالنا إلى المقر الصحراوي ، وانتقال (نور) للعلاج فيه ؟

تعتقد حاجباها في عناء ، وهي تجيب :

- لأنه خبر مدسوس .. مخابراتكم العلمية ألقته في طريقنا عمدا ، ولن أصبح مجردة قطعة شطرنج في رقتهم .. لن أعلن الخبر ، قبل أن أعرف الغرض منه بالضبط ..

أسسك بكتفها فجأة في قوة ، وهو يتطلع إلى عينيها مباشرة ، قائلا في صرامة :

- لن تعرفي يا (مشيرة) .. الخبر بالفعل مدسوس ، ولكنك ستعطينيه ، دون حتى أن تسألي عن السبب .. يكفي أن المخابرات العلمية ترغب في إعلائه ، وبأقصى سرعة .

تمسكت من يديه في حدة ، وهتفت :

- كلا يا (أكرم) .. لن أفعل .. أنا صحفية حرة ، ولا أحد يمكنه إجباري على إثبات فعل أرفضه .. ثم

إنك تضيع وقتي الآن ، فلماذا أن أعدل على تغطية الهجوم على مقر الرئاسة ، قبل أن ..

قاطعها في صرامة :

- لن تجدي جديدا هناك .. نفس الصورة البشعة ، التي رأيتها في كل الأماكن السابقة .. الفارق الوحيد هو أنه لن تكون هناك ضحية هذه المرة .

سألته في لهفة :

- ماذا تعني ؟

أجابها في بطة :

- ذلك الوغد لم يظفر بالرئيس .

خفق قلبها في عنف ، وهي تهتف :

- حقا ؟! ولكن كيف ؟ كيف نجا الرئيس ؟!

تجاهل سؤالها هذا ، وهو يعاود التطلع في عينيها ، قائلا في صرامة :

- أعلني خبر المقر الصحراوي يا (مشيرة) .

عاودها عنادها الصلب ، وهي تقول :

- كلا .. لن أفعل ، ما لم أعرف ما الـ ..

قاطعها فجأة في ثورة :

- كفي يا (مشيرة) .. كفي .

تراجعت في خوف ، أمام ثورته المفاجئة ، في حين تابع هو في غضب هادر :

- تصرفي مرة واحدة ، من منطلق المصلحة العامة ، وليس من ذلك المنظور الشخصي الضيق .. تعاملني مرة واحدة ، باعتبارك مصرية وطنية مخلصه ، تغار على صالح وطنها وأمنه ، وليس كمجرد صحفية ، لا يهملها سوى الفوز بسبق جديد ، تفوز به على منافسيها .. تصرفي مرة باعتبارك جزءاً منا .. من الفريق .

واعتقد حاجباه في شدة ، وهو يميل نحوها ، ويقوص أكثر وأكثر في عينيها ، مضيقاً في صرامة شديدة :

- من (مصر) .

انقبض جسدها في غنغ ، مع كلمته الأخيرة ، وحذقت في وجهه بشدة ، وكأنها تراه للمرة الأولى ، في حين اعتدل هو في وقفته ، وزمقها بنظرة أخرى صارمة ، قبل أن يستدير ، ويتجه نحو الباب ، ثم يتوقف ، ويلتفت إليها ، قائلاً :

- أعتني الخبر يا (مشيرة) .

قالتها ، وغادر الحجرة ، وصفق الباب خلفه في غنغ ، تاركاً إياها داخلها ، وقد طار من عقلها كل ما يتعلق بالهجوم على مقر الرئاسة ، ولم يعد يشغلها سوى أمر واحد ..

كلمة زوجها عن الوطن ..

عن (مصر) ..

تفجر غضب جنوني في أعماق النوى ، واشتعل به كميته كله ، عندما فشل في العثور على رئيس الجمهورية ، في مقر الرئاسة ، على الرغم من القتال العنيف المضاعف ، الذي خاضه هذه المرة ، والذي استنفد كل طاقاته تقريباً ، قبل أن يسيطر على الموقف ..

لقد واجهه الحرس الجمهوري ببسالة شديدة ، وأطلق رجاله عليه مدافعهم البازيرية ، وقنابلهم العقودية ، واستخدموا كل وسيلة ممكنة لإيقافه .. ولكن الشاب كان في أوج قوته ..

وثورته ..

وجنونه ..

وبكل الطاقة الهائلة في أعماقه ، راح يطلق كراته النارية . وصواعقه الجبارة ، وهو يحيط نفسه بغلاف واق مضاعف ، لصد حزم الأشعة ، والقتابل ، والصواريخ .

وكان القتال عنيفا ، حتى إنه شعر بطاقته لتفقد وتنضب في سرعة ، تفوق ثلاث مرات على الأقل كل ما حدث من قبل ، في ضرباته السابقة .. وعلى الرغم من كل هذا ، فقد اقتصر ، في هذه المرة أيضا ..

لم يكن قد قضى على الجميع ، كما يفعل في كل مرة ، ولكنه استطاع بلوغ مقر الرئاسة ، وتطلق بكل ثورته ووحشيته ، بحثا عن الرئيس ..

وعندما لم يجده ، اشتعلت كل ذرة في كيانه بغضب هائل عنيف ، جعله ينتزع أحد رجال الأمن المصائبين من مكانه ، في قسوة وشراسة ، ويسأله :

.. أين الرئيس ؟ أين ذهب ؟

أجابته الرجل في ألم عصبي :

.. لست أرى .. لا أحد يدرى .



اشتعلت كل ذرة في كيانه بغضب هائل عنيف ، جعله ينتزع أحد رجال الأمن المصائبين من مكانه ، في قسوة وشراسة

برقت عيننا النووى فى غضب ، وهوى قبضته
على ساق رجل الأمن ، فهشمتها بعنف رهيب ، جعل
الرجل يطلق صرخة ألم قوية ، لم تهز شعرة واحدة
فى رأس الشاب ، وهو يعاود سؤاله بشراسة مخيفة :
- أين الرئيس ؟

هتف الرجل فى ألم :

- لا أحد يعلم ..

لم يكذ ينطقها ، حتى تلقى ركلة قوية فى ساقه
الأخرى ، التى تحطمت بفرقة مخيفة ، وانطلقت منه
صرخة ألم رهيبية ، والنووى بهزه فى قوة ، صائحاً :
- أين ذهب الرئيس ؟

هتف الرجل ، وهو يكاد يفقد وعيه ، من شدة الألم :
- لست أدرى .. لا أحد يمكنه أن يعلم ، سوى طاقم
الحراسة الخاص ، المرافق له .. هذا جزء من خطة
الأمن .. إنهم ينقلونه فور تلقى أول إنذار بالخطر ،
غير تلقى خاص ، إلى مطار مرمى ، وهناك تتطلق به
طائرة الرئاسة الخاصة بالطوارئ ، إلى مكان ما ، يتم
إبلاغ الطيار به ، بعد الإقلاع بعشر دقائق ، بحيث
لا يمكن لمخلوق معرفة مكان الرئيس ، حتى تزول
حالة الطوارئ .

اشتعلت عيننا الشاب بغضب هادر ، وهو يقول :
- اتعنى أنه ليس هنا ، وأن أحدا لا يدري أين ذهب ؟
قال الرجل ، وهو يفقد وعيه بالفعل :
- بالضبط .

صرخ الشاب فى ثورة :

- لا .. مستحيل !

قالها ، وهو يدير عنق رجل الأمن فى قوة ، كادت
تنتزعه من جسده ، فشقق الرجل فى ألم ، وجحظت
عيناه فى شدة ، قبل أن يسقط جثة هامدة ، فى حين
رفع هو قبضتيه ، ولوح بهما فى الهوام ، وهو
يصرخ :

- لا .. لا يمكن أن يفر .. لا يمكن .

بلغ مسامعه صوت سيارات الأمن ، والجيش ،
وقوات الشرطة العسكرية ، التى تهرع إلى مقر
الرئاسة ، فاتفق حاجبها فى غضب هادر ، وأدار
عينيه فيما حوله ، حتى عثر على مصدر للطاقة
الكهربية ..

ومرة أخرى ، تذبذبت كل مصابيح (القاهرة)
الجديدة ..

وعندما حاصر الرجال قصر الرئاسة ، واستعدوا
للقاتل ، كان هو يشق طريقه مبتعداً عن مقر الرئاسة ،
داخل غلافه الكهرومغناطيسى ، الذى يقويه عن
الأعين تماماً ..

كان بإمكانه أن يشتبك مع كل تلك القوات ، دون
أن يطرده له جفن ، مع كل الطاقة التى تفجرت بها
عروقه ..

إلا أنه لم يكن يرغب فى إضاعة ثابته واحدة ..
لأبد أن يعود إلى مقره ، ليبحث بوساطة الكمبيوتر
عن أى مكان ، يحتمل ذهاب الرئيس إليه ..
وبينما هو ينطلق داخل سيارة جديدة ، إلى وكمره ،
راح عقله يشتعل بالغضب أكثر وأكثر ..
لقد حقق انتصاراً ساحقاً على طول الخط ..
وثأر من كل من قتلوا (عسران) ..
قيما عدا الرئيس ..

ضحيته الأخيرة ، التى أعد لها برنامجاً حافلاً ..
كان يخطط لإلقاء القبض عليه حياً ، حتى يحمله
إلى مبنى (التليفزيون) للرسمى ، وهناك يعلن قضيته ..

يعطى للعالم كله ، أنه قد فعل كل ما فعل ، انتقاماً
لإعدام (سالم عسران) ، منذ أكثر من ربع قرن من
الزمان ..

وعندما يدرك العالم هويته ، ويفهم لماذا فعل كل
هذا ، سينتقل إلى خطواته الأخيرة ..

سيقتل الرئيس ، على الهواء مباشرة ..

سيجعل العالم كله يرى انتقامه ..

هكذا يكون قد حقق كل ما أراد ..

وكل ما حلم به ، منذ سنوات طوال ..

وما غنّته به أمه طوال الوقت ..

النار ..

النار ..

النار ..

برقت عيناه مرة أخرى ، وهو ينطلق بالسيارة ،
نحو الأطلال القديمة ، فائطلق منهما شعاع من
الضوء ، انتزعه من الفعالة ، وأعادته إلى أرض
الواقع ، فتعتم فى عصبية :
- لابد أن يدفعوا الثمن .. لا أحد منهم سينجو ..
لا أحد .

أوقف السيارة ، عند حافة الأطلال ، واتجه فى خطوات سريعة نحو وكره ، و ...
 وفجأة ، لمح ذلك الخيط من الدخان ، الذى يتصاعد من موضع الوكر ..
 وفى عصبية متوترة ، انطلق يعدو نحو الوكر ، وهو يتساءل عما حدث ..
 وعندما بلغ المكان ، انفجرت فى أعماقه قنبلة هائلة من الغضب والثورة ، وهتف :

- اللعنة ! لقد بلغوا مقري ، ونسفوا .. نسفوا كل شيء .. الأبحاث ، والأوراق ، وأجهزة الفحص ..
 وانقلب سحنه على نحو مخيف ، وهو يضيف :
 - وحتى ذكرياتي .. الأوغاد نسفوا كل شيء ..
 لا أحد يمكنه أن يصف تلك النيران ، التى استعرت فى أعماقه ..

لا أحد يمكنه أن يشعر بالغضب والثورة ، اللذين سرىا فى كيانه كله ..
 لا أحد ..

ولكن كل تلك المشاعر ، اجتمعت معاً فى صرخة واحدة ..
 صرخة ارتجت لها المنطقة كلها ..

صرخة أعلنت أن القتال قد انتقل إلى مرحلة أخرى ..
 مرحلة ثأر جديد ..
 واستكمال لثأر قديم ..
 مرحلة تحول فيها الأمر من معركة إلى حرب ..
 حرب طاحنة ..
 ساحقة ..
 نووية ..

★ ★ ★

« ولكن لماذا ؟! »

ألقي الدكتور (حجازى) السؤال ، فى مزيج من الدهشة والانفعال ، وهو يراجع كل ما أمامه ، من أوراق وتكايح ودراسات ، قبل أن يعمل فى حيرة متوترة :

- طبقاً للفحوص ، التى أجراها لنفسه ، فهو يعلم أن ساعاته فى الدنيا أصبحت معدودة ومحدودة ، وعلى الرغم من هذا ، فهو يقضيها كلها سعيًا وراء ثأر عجيب ، من أجل شخص ، لا تجد خطاً واحداً يربطه به !! لماذا يفعل هذا ؟! ما الذى يدفعه إليه ؟!
 هزت (نشوى) رأسها فى حيرة ، قائلة :

- لم استطع إجابة هذا السؤال قط .. لقد راجعت ملف قضية (سالم عمران) هذا ، أربع مرات على الأقل ، وفحصت كل ما يتعلق بالمحيطين به آنذاك ، ولم أجد بينهم شخصاً واحداً ، يمكن أن يسعى للانتقام ، بعد ثلاثين عاماً تقريباً .

أشار (رمزي) بسبابته ، قائلاً :
- ما يدعشني حقاً هو أن ينتظر كل هذه السنين .
قالت (نشوى) في حيرة أكثر :
- وكأنه يسعى للانتقام منذ مولده .
اتعقد حاجباً (رمزي) في شدة ، وهو يردد :
- منذ مولده ؟؟ نعم .. ولم لا ؟؟
استغرق طويلاً في تفكير عميق ، جعل الدكتور (حجازي) يسأله في لهفة :

- غيم تفكر يا (رمزي) ؟؟
رفع (رمزي) عينيه إليه في شرود ، استغرق دقيقة أخرى إضافية ، قبل أن يجيب في اهتمام شديد :
- فيما قالته (نشوى) يا سيدي .. إنه قول دقيق وصحيح للغاية .. ذلك الفتى يتصرف وكأن الهدف الوحيد ، الذي جاء من أجله إلى الدنيا ، هو أن يثأر

لمقتل (سالم عمران) ، ومن كل من شاركوا في صدور الحكم بإعدامه .. كما لو أنه قد رضع هذا منذ مولده .

ثم التفت إلى (نشوى) ، وسألها في حماس :
- هل كان لـ (سالم عمران) ولد ، عندما صدر الحكم بإعدامه ؟؟

هزت رأسها نفياً ، وهي تجيب :
- ليس في حدود ما سجلته الأوراق والملفات حينذاك .

اتعقد حاجباً في شدة ، وهو يتعمق :
- عجباً !

ثم نهض من مقعده ، متابعاً في اهتمام بالغ :
- لقد كان هذا هو التفسير الوحيد ، الذي يجعل الأمر كله منطقياً .. طفل صغير ، يشاهد والده خلف القضبان ، والكل يتهمه بالخيانة ويأكله بالعار ، ووالدته إلى جواره تبكي زوجها ، وتشعر بالغضب والنقمة ، تجاه كل من يدينه ، والطفل يلتصق بها خائفاً مذعوراً ، لا يدرى شيئاً عن خطورة الاتهام ، الذي يحاكم من أجله والده .. كل ما يعرفه هو أن أباه يواجه الخطر ، وهناك من يسعون للقضاء عليه .

ثم فرقع سيابته وإبهامه متابعاً في حماس :
ويصدر الحكم بالإعدام ، وتنهيار الأم ، ويصرخ
الأب ، ويهتف باسم ابته ، ويبلغ رعب الصغير وذعره
نروتها ، وتتحفر في ذهنه صورة لكل من أدان أباه ،
وأصدر حكماً بإعدامه ، ويبدو له كل هؤلاء كفريق
من القتل ، انتزع منه والده ، دون أن يدرك عقله
الصغير حينذاك ، خطورة الاتهام ، أو عدالة الحكم ..

وتحرك في المكان في انفعال ، مستطرداً :

- ولا تكتفى الأم بما يعاقبه الصغير المسكين ، وإنما
تضاعف من تدمير مشاعره الداخلية ، وتقضى على
ما تبقى من شعوره بالأمن والأمان ، عندما تذكى
نيران الغضب وروح الثأر في أعماقه ، وتطالبه طوال
الوقت بالانتقام لأبيه ، من كل من دفعوه إلى نهايته ..
وينمو الصغير بعقل مضطرب ، لا يحوى سوى فكرة
واحدة ، تعيد في كيانه كله طوال الوقت .. الثأر ..
الثأر .. الثأر .. ومع مرور الوقت ، تلتهم تلك الفكرة
ما تبقى من روحه ، حتى لا يعود له من هدف في
الحياة ، سوى تحويلها إلى حقيقة واقعة .
وتوقف ليتنهد في عمق ، قبل أن يكمل :

- ثم تلوح الفرصة ، مع أحداث الدكتور (فؤاد) ..
خاصة وأن الأشخاص ، الذين يسعى للانتقام منهم ،
قد أصبحوا من عيار المسئولين ، مع مرور الوقت ،
فيتنحل شخصية جديدة ، ويلتصق بالوجل ، ويتابع
أبحاثه أولاً فثانياً ، حتى تحين اللحظة المناسبة ،
فيضرب ضربه ، ويبدأ مرحلة الثأر والانتقام ..

هز الدكتور (حجازي) رأسه ، قائلاً :

- تحليل نفسي رائع يا (رمزي) ، ولكن ينقصه
أمر واحد ، وهو أن (سالم عمران) لم يكن له ولد ،
حتى تمت محاكمته وإعدامه ..

قالت (نشوى) فجأة في حماس :

- ربما جاء هذا الولد بعد إعدامه بالفعل .

التفت إليها (رمزي) في حركة حادة ، هاتفاً :

- يا إلهي ! هذا صحيح .

أما الدكتور (حجازي) ، فسالها في لهفة :

- ماذا تعنين ؟

أجابته (رمزي) ، في حماس جارف :

- تعنى أن زوجة (سالم عمران) لم تكن قد أنجبت

ابنها بعد ، عندما حوكم زوجها وأعدم ، وإنما جاء

ذلك الطفل بعد موت أبيه ، ومع شعورها بالمقت
والمرارة والكراهية ، راحت ترضع ولدها الغضب ،
والرغبة في الثأر ، وربته على الانتقام لوالده ، حتى
بها أفسدت عقله منذ طفولته ، وغرست في أعماقه
هدفاً واحداً ، سعى لتحقيقه طيلة عمره .
اتسعت عينها الدكتور (حجازي) في ارتياح ، وهو
يقول :

يا إلهي ! أهذا ممكن ؟

أجابته (نشوى) في حماس ، وهي تراجع بيانات
الكمبيوتر في سرعة :

ولم لا ؟! لقد كان (سالم) متزوجاً من يهودية ،
التقى بها في (روما) ، قبل أن يبدأ رحلته في عالم
الجاسوسية ، ولقد حضرت زوجته تلك محاكمته ،
وأدلت بحديث للصحف ، بعد صدور الحكم بإعدامه ،
وقالت : إن المسئولين المصريين لفقسوا التهمة
لزوجها ، وإنها لن تغفر لهم هذا قط ، ثم سافرت
بعدها لتستقر في (إسرائيل) ، وانقطعت أخبارها
بعدها تماماً .

سألها (رمزي) في لهفة :

- هل يمكنك تعقب بياناتها داخل (إسرائيل) ؟

أجابته بسرعة وثقة :

- بالتأكيد .. سأسعى لدخول شبكة (الإنترنت) (*)

الداخلية ، ومنها إلى شبكة المعلومات الإسرائيلية ،
وسأسعى للحصول على كل ما يمثل الحصول عليه
بشأنها .

بدا عليه الارتياح ، وهو يجلس إلى جوارها ، قائلاً :

- عظيم ..

راقبهما الدكتور (حجازي) في اهتمام ، قبل أن
يقول :

- فليكن .. تابعاً لمتابعة عملية البحث عن هوية
النوى ، وسأكمل أما مراجعة أبحاث الدكتور (هلال)
مع (طارق) ، حتى عودة (أكرم) ، لنبدأ معاً في
إعداد خطة المواجهة القادمة .

(*) الإنترنت : شبكة كبرى للمعلومات ، تربط العالم كله ببعضه
بعض ، وتربطه بالمستخدم العادي لأجهزة الكمبيوتر الشخصية ،
عن طريق الوسائط الهاتفية (المودم) ، بحيث يمكن لأي شخص
معرفة أية معلومات ، عن أية جهة ، تشارك في الشبكة الدولية ،
بمجرد حصوله على عنوان وشفرة الاتصال بتلك الجهة .

ثم تلقت حوله ، مستطردًا :

- ولكن أين (طارق) ؟ أين اختفى منذ ما يقرب من نصف الساعة ؟

اعتقد حاجبا (نشوى) وهي تعتدل ، مغمضة :

- (طارق) ؟

تلقت الدكتور (حجازى) حوله مرة أخرى ، متسائلا :

- نعم .. أين هو ؟

التقى حاجبا (نشوى) أكثر وأكثر ، واستعاد ذهنها مشهد (طارق) ، وهو يوصل جهاز الكمبيوتر الخاص به ، بأجهزة المرصد القديمة ، ثم لم تلبث أن هزت رأسها فى قوة ، وكأنما تنفض عنها ذلك المشهد ، وقالت للدكتور (حجازى) :

- ربما تجده فى قاعة المرصد .

ارتفع حاجبا الدكتور (حجازى) فى دهشة ، وهو يقول :

- وماذا يفعل هناك ؟

هزت كتفها ، قائلة :

- ربما يهوى تلك الأشياء القديمة .

ابتسم الدكتور (حجازى) ، وهو يتجه نحو الممر ، الذى يقود إلى قاعة المرصد ، قائلا :

- لا بأس .. لم يعد هناك ما يدهشنى بشأته .

تابعته (نشوى) ببصرها ، حتى اختفى داخل الممر ، ثم واصلت عملها على الكمبيوتر .. ولكن تلك النظرة ، المغمضة بالقلق والتوتر ، التى شيعت بها الدكتور (حجازى) ، لم تخف على زوجها (رمزى) ، الذى سألها فى اهتمام :

- ماذا هناك ؟

التفتت إليه ، قائلة :

- هناك شيء غامض ، يربط ما بين (طارق) وهذا المكان .

قال فى حذر :

- ربما يهوى تلك الأشياء القديمة ، كما قلت للدكتور (حجازى) .

صمتت لحظة فى تردد ، قبل أن تقول :

- لست أعتقد أن هذا هو السبب الوحيد .

ثم روت له فى توتر ما رآته ، فى قاعة المرصد ، فاستمع إليها فى اهتمام مشوب بالقلق ، ثم قال :

- ربما لا يعنى هذا شيئاً ، أو هو يعنى كل شيء ..
وصمت لحظة أخرى ، ثم أضاف فى حزم :
- ولكننا نستطيع تأجيل هذا لما بعد .. المهم أن
نركز جهودنا عليها الآن ، لبحث أمر عدونا النووى .
تتهذبت ، قائلة :
- أنت على حق .

وعادت تواصل عملها على الكمبيوتر ..
وفى نفس الوقت ، الذى تبادلاً فيه هذه الكلمات ،
كان الدكتور (حجازى) يقطع العمر ، الذى يقود إلى
قاعة المرسد ، فى خطوات خفيفة سريعة ، حتى بلغ
القاعة ، وقبل أن يذف إليها ، التقطت أنفاه فجأة
صوت إيقاع إلكترونى يتردد داخلها ، فتوقف فجأة ،
وارتفع حاجباه فى دهشة ، وهو يتساءل فى أعماقه
عما يوحى به هذا ..

كان الإيقاع منتظماً إلى حد ما ، ويتكون من ثلاثة
مقاطع مختلفة ، تتكرر بفارق زمنى ضئيل للغاية ،
على نحو جعلها أشبه برسالة متكررة ..
أو إشارة محدودة ..
إشارة استغاثة ..

شيء أشبه بالإشارة الدولية الشهيرة (S.O.S) (*) ..
ولكن ليس بالإيقاع نفسه ..
وفى حيرة ، غمغم الدكتور (حجازى) ، وهو
يدلف إلى القاعة :

- عجباً ! ما الذى يفعله (طارق) بالضبط ؟!
لم يكد بغمغم بالعبارة ، حتى توقفت الإشارة بفتة ،
وبدا له (طارق) ، وهو ينهض فى سرعة وارتباك ،
من أمام جهاز اتصال فضائى قديم ، وسبابته تسرع
بإغلاقه فى توتر ملحوظ ، قبل أن يتسهم ابتسامة
متكلفة ، ويقول :

- لقد نجحت فى إصلاح هذا الجهاز القديم .. هل
يمكنك أن تصدق هذا ؟!

نقل الدكتور (حجازى) بصره بينه وبين ذلك
الجهاز القديم لحظة ، قبل أن يقول فى بطنه حذر :

(*) إشارة الاستغاثة الدولية (S.O.S) : هى إشارة يتم
إرسالها بلغة (مورس) التلغرافية ، من خلال الإشارات البوقية ،
واللاسلكية ، وحتى الضوئية ، وهى اختصار للعبارة الإنجليزية
(أخلدو لرواعنا) .. (Save Our Soles)

- وهل تعتقد أن الوقت يناسب مثل هذا العمل ؟
رفع (طارق) يده ، ليتخلل شعره بأصابعه ، وهو
يغمغم :

- مجرد محاولة للترويح عن النفس ، والتخفيف
من التوتر المؤقت .

ثم اتجه إلى الدكتور (حجازي) ، ووضع يده على
كتفه ، قائلاً :

- هل توصلت (نشوي) إلى شيء ؟

أجابته الدكتور (حجازي) ، وهو يعود معه إلى
خجرة الفريق :

- (رمزي) وضع نظرية جديدة ، وهي تسعى
لإثباتها .

أدعته أن (طارق) لم يسأله عن تلك النظرية ،
ولا عن الوسيلة التي تتبعها (نشوي) ، لمحاولة
إثباتها ، وإنما بدا وكأن كل ما يهمه هو أن يبعده عن
قاعة المرصد ، وهو يسأله :

- هل راجعت نتائج الفحص ، التي نقلناها من
كمبيوتر النووى ؟

أجابته الدكتور (حجازي) :

- نعم .. لقد راجعتها مرتين ، وهناك نقطة تشير
قلقى فيها ، ربما يمكنك أنت حلها ، باعتبارك خبيراً
في الطاقة النووية .

سأله (طارق) في اهتمام :

- وما هي ؟

أجابته ، مشيراً بسبأته في الهواء :

- ذلك التناقض المتواصل في طاقة خلاياه ، التي
تحولت إلى نوع من بطاريات الشحن الحيوية ،
المشحونة بالمادة المشعة .. إنها ستبلغ مع الوقت
حداً يجعلها أقرب إلى الكتلة الحرجة للمقابل النووية .
انعتقد حاجباً (طارق) في شدة ، وتوقف فجأة ،
وهو يقول في قلق شديد :

- يا إلهي ! هذا صحيح .

لم يكف يترك عبارته ، حتى هرع (رمزي) إلى
الممر ، هاتفاً :

- هل سمعنا آخر الأنباء ؟

سأله (طارق) بسرعة :

- ماذا حدث ؟!

نوح (رمزي) بذراعيه ، هاتفاً :

- لقد ضرب النووى ضربته الجديدة .

وكانت مفاجأة حقيقية ..

وعنيفة ..

★ ★ ★



٧ - جنون ..

الجمعة : الحادى عشر من مايو .. العاشرة والنصف مساءً .

شعور قوى بالألم ، سرى فى جسده (نور) ، وهو يستعيد وعيه فى بطنه ، داخل وحدة العناية المركزة . فى الطابق الثالث تحت الأرض ، فى مبنى إدارة الأبحاث ، التابع للمخابرات العلمية ..

ومع الألم ، كان هناك صداد عنيف ، جعله يغمغم فى إرهاب :

- أين أنا ؟!

أتاء صوت زوجته ، وهى تهتف بكل لهفتها :

- (نور) .. حمداً لله على سلامتك يا (نور) .

فتح عينيه ، متطلعاً إليها ، وإلى دموعها المنهمرة على وجهها فى سعادة ، ثم ابتسم فى ضعف ، مغفماً :

- هل غبت عن الوعى طويلاً ، إلى هذا الحد ؟!

اختضنته فى فرح ، قائلة :

- حمداً لله يا (نور) .. حمداً لله .

احتضنها في رفق حنون ، وتركها تفرغ دموعها على صدره بضع لحظات ، دارت عيناه خلالها في المكان ، حتى تعرفه ، ثم سألها في اهتمام :

- أين (نشوى) ؟ أين الرفاق جميعهم ؟ ماذا فعلتم في قضية ذلك العدو الخارق ؟

مسحت دموعها بأصابعها ، مجيبة :

- لقد تطورت الأمور كثيراً ، خلال الساعات الماضية

يا (نور) .

سألها في قلق .

- كيف ؟

قبل أن تفتح شفيتها ، ارتفع صوت الدكتور (ناظم) .

وهو يقول :

- سأشرح لك كل شيء يا (نور) .. حمداً لله على سلامتك .

أدار (نور) عينيه إليه قائلاً في اهتمام :

- أشكرك يا دكتور (ناظم) .. الواقع أنني أريد

معرفة كل التفاصيل .

ريبت (سلوى) على كتفيه ، قائلة في إشفاق :

- ألا تحصل على قليل من الراحة أولاً يا (نور) ؟

التفت إليها قائلاً :

- هل تعتقد أن لدينا الوقت لهذا ؟

صمتت لحظة ، وهي تتطلع إلى عينيه مباشرة ،

قبل أن تتمتم في خفوت :

- كلا .

اكتفى بقولها هذا ، والتفت مرة أخرى إلى الدكتور

(ناظم) قائلاً :

- أريد معرفة كل التفاصيل يا دكتور (ناظم) .

ارتسمت ابتسامة شاحبة على شفتي الرجل ، وهو

يقول :

- بالتأكيد يا (نور) .. بالتأكيد .

وفي سرعة ودقة ، راح يروي له كل ما حدث ،

منذ فقد وعيه ، في حادث السيارة (*) . ويكمل

التفاصيل الممكنة ، وشرح له ما توصل إليه فريقه .

متضمناً تحذير رئيس الجمهورية ، وخدعة الهجوم

الزائف ، التي أنقذت حياة الرئيس ، ثم تنهد في عمق ،

متابعاً :

(*) راجع الجزء الأول (العدو الخارق) .. المغامرة رقم

(١١٥)

- ومن الواضح أن نجاة الرئيس قد أثارت غضبه وجنونه ، إلى أقصى حد ، ولم يكن احتمال فشلته في القضاء على آخر ضحايا حملته الثأرية ، لذا فقد هاجم وحدة عسكرية محدودة ، على مشارف (القاهرة) الجديدة ، ونجح في تدمير معظم أسلحتها ، وقتل أكثر من مائة من العسكريين ، في وحشية مخيفة ، قبل أن يستخدم أجهزة الاتصال فيها ، ليثبت رسالة إلى كل وقاتلات الأبناء العالمية .

وتراجع في مقعده ، في توتر ملحوظ ، قبل أن يضيف :

- رسالة أعلن فيها أنه سيواصل حملة القتل والتدمير بلا توقف ، وسينقل المعركة إلى أهداف مدنية ، دون تحديد أو تمييز ، خلال الساعات القليلة القادمة ، ما لم يظهر رئيس الجمهورية ، ويعلن عن وجوده في وضوح .

زوى (نور) ما بين حاجبيه ، وهو يغمغم :

- عجباً ! الكل يهدف إلى رئيس الجمهورية هذه الأيام (*) ، وكأنما لم يعد لهم خصم سواه .

(*) راجع قصة (بصمة الموت) - المقامرة رقم (١١٢) .

تتهدد الدكتور (ناظم) في عمق ، وقال :

- المؤسف أن كل وسائلنا القتالية والدفاعية قد فشلت تماماً ، في التصدي لذلك السفاح المجنون يا (نور) ، أو إيقاف حربه المخيفة .. من الواضح أن الدكتور (فؤاد راغب) نجح في صنع وحش جديد ، لا يمكن السيطرة عليه .. كم أشعر بالارتياح ! لأن عقاره لم يعد له وجود .

غمغم (نور) :

- من يدري ؟

حدثني الدكتور (ناظم) في وجهه بارتياح ، هاتفاً :

- (نور) .. هل تعنى أن ..

قاطعه (نور) في حزم :

- لست أصلي شيئاً يا دكتور (ناظم) .. إننا نواجه ذلك الوحش الآن ، علينا أن نركز كل جهودنا لإيقافه ، قبل أن يريق المزيد من دماء الأبرياء ، بجنونه الوحشي هذا .

سأله الدكتور (ناظم) في اهتمام :

- لديك خطة محدودة ؟

أجابته (نور) ، وهو ينهض جالساً على طرف فراشه :

- خطة (طارق) ممتازة للغاية ، وتشفا عن موهبة رائعة ، في هذا المجال ، ولكنها تحتاج إلى بعض الإضافات والتعديلات البسيطة .
وهتفت (سلوى) في دهشة قلقة ، عندما نهض يلتقط ثيابه ،

- ماذا ستفعل ١٢

أجابها في حزم :

- ياله من سؤال ! سأعود لقيادة فريقى بالطبيع .
هتفت معترضة :

- فى مثل هذه الظروف ١٣

التفت إليها فى صرامة قائلا :

- هذه الظروف بالذات ، هى التى تدفعنى إلى هذا .

تبادلت نظرة متوترة مع الدكتور (ناظم) ، الذى تنحج ، مضجعا :

- زوجتك تقصد أنك قد استعدت وعيك منذ قليل ، وربما ...

قاطعه (نور) فى صرامة :

- خصمنا لن يمهلنا لحظة واحدة .

ثم راح يرتدى ثيابه فى سرعة ، وهو يضيف :

- حاولوا إقناع (مشيرة) بإعلان خبر انتقال الفريق إلى ذلك المقر الصحراوى ، حتى ولو اضطرتهم لإجبارها على هذا ، بأية وسيلة كانت ، وانسروا شائعة تفيد بأننا نحسن الرئيس هناك .. وسيكفى هذا لاستفزاز كل مشاعر ذلك الشاب ، ودفعه إلينا دفعا ، وعندما يبلغ المقر ، سنعمل على تنفيذ خطة (طارق) ، ولكننا سنضيف إليها خطوة جديدة .
واعتدل فى حزم ، قبل أن يستطرد :

- وحاسمة .

نطقها على نحو يوحى بأن الحرب ، ومنذ هذه اللحظة ، ستتخذ مساراً جديداً بالفعل ...

وأنها لن تلتهى ، إلا بنهاية أحد الطرفين ..
إما النووى ..

أو فريق (نور) ..

بأكمله ..

* * *

« ولقد نما إلى علمنا ، من بعض المصادر الوثيقة الصلة بالفريق ، أن أفرادهم أدركوا أن ذلك العدو الخارق ، الذى تسبب فى سلسلة الاغتيالات الأخيرة ،

يسعى الآن خلفهم ، لذا فقد انتقلوا إلى مقر جديد ،
 في قلب الصحراء ، لم يحدثوا موقعه بالضبط ، إلا أن
 أحد مصادرونا نجح في التوصل إلى أن ذلك المقر
 الجديد يقع داخل أحد المراصد القديمة ، التي لم تعد
 موضحة على الخرائط الحديثة ، وأن الفريق قد أعد
 حجرة طبية خاصة هناك ، لعلاج قائد (نور) ، بعيدا
 عن مصادر الخطر .. أما بالنسبة للسيد رئيس
 الجمهورية ، فما زال موقعه الحالي مجهولا ، وإن
 أصدر مجلس الرئاسة بيانا ، أعلن فيه أن الرئيس في
 حالة جيدة ، وأنه مازال يصدر قراراته ، ويتابع أحوال
 الدولة ، من مكان ما بالصحراء الغربية ، وأن اختفاءه
 المؤقت يعود إلى أسباب أمنية خاصة ، ولا صحة
 إطلاقا لما أثير حول تجاح ذلك العدو الغامض في
 اغتياله ، وسيذبح سيادة الرئيس بنفسه بيانا للشعب ،
 حول الواقعة وخفاياها ، في الصباح الباكر بإذن
 الله .. (مشيرة محفوظ) ، تتحدث إليكم ، من (أبناء
 الفيدو) .. تابعوا التطورات معنا ... »

اختفت صورتها من شاشة التلفزيون ، وحل
 محلها ذلك اللون المميز ، مع اللوحات المتحركة ثلاثية

الأبعاد ، التي تحمل شعار (أبناء الفيدو) ، فصفق
 (أكرم) في حماس ، وهو يقول مزهواً :
 - رائع .. (مشيرة) قامت بدورها خير قيام ؟
 ابتسم (طارق) ، ضغفاً :
 - أهلك .

أشار (أكرم) بيده قائلاً :
 - هاهي ذي زوجتي التي أعرفها .
 نقل (نور) بصره بينهما ، قبل أن يقول :
 - قيام (مشيرة) بدورها ، بالإضافة إلى الشائعة ،
 التي انتشرت في المدينة ، موحية بأن الرئيس هنا ،
 سيدفعان ذلك النووي حتماً لمهاجمتنا .
 ثم التفت إلى (رمزي) ، يسأله :
 - أليس كذلك ؟

أجاب (رمزي) في سرعة :
 - بالتأكيد يا (نور) .. إنه يسعى لتحقيق انتقامه
 الأخير ، وما إن يتصور أن الرئيس هنا ، حتى يهرع
 إلينا على الفور .

قال (أكرم) في قلق :
 - السؤال هو : كيف نستقبل هروعه هذا ؟

أشارت (نشوى) بيدها ، قائلة :

- بل كيف ستدرك أنه ينقض علينا ، إذا ما أحاط

جسده بغلاف الإخفاء ؟!

أجابها (نور) فى حزم :

- هنا يأتى دور أمك .

أدارت (سلوى) عينيها إليهم ، دون أن تتوقف

عن عملها ، وهى تقول :

- إننى أعد برنامجى ، وعندما أنتهى منه ، سيمكننا

رصد أى صوت ، يقترب من هنا ، فى دائرة نصف

قطرها كيلومتر كامل .

أوماً (نور) برأسه فى ارتياح قائلاً :

- حمدًا لله .. إذن فلدينا وسيلة كشف اقترابه ، ولكن

ماذا عن خط الدفاع الأول ؟!

أجابها (أكرم) ، وهو يلوح بمسدسه :

- عندما يظهر ذلك الوغد ، سنستخدم أجهزة التحكم

عن بعد ، لنطلق عليه خمس عشرة دبابة ، وثلاث

طائرات مقاتلة ، بحيث يضطر للاستيلاء معهم ،

مستهلكًا طاقته ..

تمتم (طارق) :

- اتعشّم أن يحدث هذا .

التفت إليه (نور) فى بضع دقائق :

- إننا لننفذ خطتك :

غمغم (طارق) :

- أعلم هذا .. أعلم هذا .

كان من الواضح أنه منشغل بشدة فى دراسة

أمر ما ، يتعلق بالحالة ، التى وصلت إليها خلايا النسوى ،

لذا فقد أدار (نور) عينيه عنه ، وتركه يراجع الأمر

مرات ومرات ، مع الدكتور (حجازى) ، ثم سأل

(نشوى) :

- هل توصلت إلى هويته ؟!

ضغطت (نشوى) أحد أزرار جهاز الكمبيوتر الخاص

بها ، وهى تجيب :

- أجل .. وكنت أمانى مفاجأة :

التفت إليها الجميع فى اهتمام شديد ، فتأبعت ،

وهى تطالع بعينيها تلك المعلومات ، التى ظهرت على

الشاشة :

- لقد اخترقت بالفعل شبكة المعلومات الإسرائيلية ،

وبحثت عن الملف الخاص بـ (سالم صبران) .

ولم يكن عسيرًا ، فقد كانت تتقاضى معاشًا من جهاز
المخابرات الإسرائيلية ، باعتبار أن زوجها قد لقى
مصرعه في أثناء الخدمة ، ولقد كشفت أن المعاش
كان موجَّهًا إليها ، وإلى ابنتها (إفرام) ، الذي اتجنته
بعد ستة أشهر من موت أبيه ، وأطلقت عليه اسم
(إفرام سالوم) ، حتى لا يدرك جيرانها أنه عربي الأب ،
ولقد حصل (إفرام) على الجنسية الإسرائيلية فور
مولده ، نظرًا لأنه يهودي الأم (*) ، وعلى معاش
والده ، إلا أنه لم يحصل قط على الاحترام اللازم ، في
المجتمع الإسرائيلي ، الذي ما زال ، بعد كل هذه
السنين ، يفرق بين اليهود الشرقيين (السفوديم) ،
واليهود الغربيين (الاشكنازيم) ، لذا فقد أبغض الظروف ،
التي أتت به إلى (إسرائيل) ، كما حرصت أمه طوال
الوقت ، على تذكيره بما أصاب والده ، وكانت تعرض
أسامه باستمرار أحد أقلام الفيديو ، لمحاكمة والده ،
وتجبره على مشاهدته يوميًا ، وهي تذكى في أعماقه

(*) قانون الجنسية في (إسرائيل) لا يمنح الجنسية
الإسرائيلية إلا للمولودين من أم يهودية محسب ، وينص على عدم
منحها لمواثي الأمهات غير اليهوديات ، لذا كانت الأسباب .

تيران البغض والكراهية والمقت ، والرغبة العارمة
في الثأر والانتقام -

سألها (أكرم) في دهشة :

- وهل حصلت على كل هذا ، من ملف الأم

الإسرائيلية ؟!

أومأت برأسها إيجابيًا ، وقالت :

- بالطبع ، فهو يخوى أوراق وتقارير العلاج النفسي ،

الذي خضعت له مع ابنتها ، بعد أن أبلغ جيرانها

السلطات عن صراخ ابنتها المتواصل ، وضربها العنيف

له طوال الوقت -

هزّ (رمزي) رأسه ، مغفًا :

- يا للمسكين !!

التفت إليه (أكرم) في دهشة مستترة ، هاتفاً :

- مسكين !!

أجابه (رمزي) :

- بالطبع .. لا تفكر في كل ما فعله ، خلال الساعات

الماضية .. حاول أن تعود بذاكرتك إلى طفولته

وماضيه .. إلى الأسباب التي خلقت منه ذلك الوحش

الرهيب ، الذي اتعدت في قلبه الرحمة والشفقة ..

قال (أكرم) في حدة :

- هذا لا يصنع فارقا ، بالنسبة لكل من لقوا مصرعهم على يديه ، ولا بالنسبة لأسرهم وزوجاتهم وأبنائهم .

أجاب (رمزي) ، محاولاً تهدئته :

- بالتأكيد .. إننى لا أحاول إعفائه من مسئولية ما فعل ، وما اقررت به ، ولكننى أتحدث عن الأسباب ، التى أدت إلى هذا .

ثم اعتدل فى مجلسه ، مستظرفاً :

- حاول أن تتخيل طفلاً صغيراً ، تجبره أمه كل يوم ، على مشاهدة تفاصيل المحاكمة ، الذى أدين فيها أبوه ، وصدر الحكم بإعدامه ، وتُفعل هذا ، وهى تسكب فى أذنيه طناً من السموم ، وتشعل فى أعماقه رغبة فى ثأر عنيف ، لم يولد مع براءة طفولته وصباه حتماً ، وتعذبه بروايتها وحديثها ومقتها وغضبها كل يوم ، حتى يشق جيزاته من صراخه وآلامه ، فيتم تحويله إجبارياً إلى الكشف النفسى ، الذى يقرّر احتياجه إلى علاج نفسى ، وعلى الرغم من هذا ، فالأم تواصل بث سمومها ، والتحدث عن المحاكمة ، والثأر والانتقام ، فاية نتيجة تنتظرها ؟!

الجنون بالطبع .. لقد أصابه الجنون حتماً ، فى حد ذاته أو صباه .. ومثل هذا النوع من الجنون ، يجمع حتماً ما بين العبقرية ، والاختلال ، بحيث كان (إفرايم) قادراً على وضع خطة طويلة المدى ، واتحال شخصية وهوية مصرية ، واحتمال سنوات طويلة من العمل ، كمساعد للدكتور (فؤاد راغب) ، حتى يمكنه تحقيق ثأره وانتقامه فى النهاية .

عقد (أكرم) حاجبيه فى صرامة . وهو يقول :

- مازلت أصراً على أن هذا لا يصنع فارقا .

أشار إليه (نور) قائلاً :

- ولكنه يملك معلومات بالغة الأهمية عن خصمك

يا (أكرم) .

انزع (أكرم) مسدسه من غمده ، ولوح به ،

هاتفاً فى حلق :

- المعلومة الوحيدة التى تعيننى ، بالنسبة لخصم

كهذا ، هى أين يكمن مقتله فحسب .

قال الدكتور (حجازى) فى رصاة :

- ربما يكمن مقتله فى أمر كهذا !

مط (أكرم) شفطيه ، على نحو يشغف عن أن الحديث

لا يروق له ، ولكنه أعاد مسدسه إلى غمده ، قائلاً في صرامة :

- لا بأس .. دعونا نركب تفيدنا قصة حياته ، عندما تبدأ الحرب ؟

اعتقد حاجبا (طازق) ، وهو يقول :

أخشى أن قصة حياته ليست المشكلة الوحيدة الآن يا (أكرم) .

التفت إليه الجميع في قلق ، وسألته (سلوى) :

- وما المشكلة الأخرى ؟

أشار إلى شاشة جهاز تحديد الطاقة الجديد ، مجيباً في حزم واقتضاب :

- الطبيعة !

أطلقت تساؤلات عديدة من عيونهم ، فتابع بسرعة :

- هذه الخطوط الحمراء الرفيعة ، التي تبدو في أسفل الشاشة ، تعنى أن الطبيعة لا تعمل لصالحنا ، ولن تفعل خلال الساعات القادمة .. فهذه الخطوط أيها السادة ، تعنى أننا في بداية عاصفة .. عاصفة زلزالية . وكانت مفاجأة للجميع ..

مفاجأة قادرة على إفساد خطتهم ..
كلها ..

★ ★ ★

تعلمت عينا صاحب متجر أجهزة الكمبيوتر الصغير ، بوجه الشاب العتيق البتيان ، الذي دلف إلى متجره في خطوات واسعة قوية ، واتجه مباشرة إلى أحد أجهزة الكمبيوتر ، الخاصة بالعرض ، وراح يعمل عليه في سرعة واهتمام ، مستخدماً بعض البرامج المساحية ، والخرائط القديمة ..

لم يكن ما يفعله أمراً غير مألوف ، بالنسبة لمتاجر الكمبيوتر ، إذ كثيراً ما يسعى البعض لتجربة الأجهزة المعروضة ، والقيام ببعض العمليات المعقدة عليها ، كوسيلة لحسم اختيارهم ، وشراء جهاز الكمبيوتر الذي يناسبهم ..

وهو لا يبالي - في المعتاد - بنوع البرنامج ، الذي يستدعونه عبر جهاز الكمبيوتر ، إيماناً منه بأن كل شخص يبحث عما يناسبه ..

ولكنه ، في هذه المرة ، كان شديد الاهتمام والتوتر ، وهو يتطلع إلى ذلك الشاب ، ويقارن بين ملامحه ،

ولذلك النشرة التي تم توزيعها ، على كل متجر بالمنطقة ، حاملة صورة (إفرام سالون) ..

كان الشاب منهما في البحث عن منطقة ما ، على الخرائط القديمة ، فاستغل صاحب المتجر اهتمامه واشغاله ، وضغط أزرار هاتف الفيديو في حذر ، ولم يكد يرى صورة رجل شرطة على شاشته ، حتى هبس في حذر :

- هنا متجر (ملتيميديا) للكمبيوتر .. أعتقد أن الشاب الذي تبحثون عنه هنا .

سأله رجل الشرطة في اهتمام شديد :

- أنت واثق يا رجل !!

أجابته في توتر :

- تمام الثقة .. إنه يقف على بعد ثلاثة أمتار مني فحسب

واختلس نظرة أخرى إلى الشاب ، مستطرداً في هبس عصبى :

- ولكن أسرعوا بالله عليكم .

أجابته رجل الشرطة في سرعة :

- اظمن يا رجل .. كل شيء سيسير على ما يرام ..

سأصل بأقرب دورية شرطة ، وستصلك خلال دقيقة واحدة .. ولكن لا تفعل شيئاً ، ولا تحاول إثارة توتره أو شعوك ، حتى تصل إليك الدورية ،

سأله الرجل في قلق :

- وماذا لو حاول الانصراف ؟

أجابته الشرطي في حزم :

- دعه يتصرف ، ولا تحاول اعتراض طريقه قط .

كان (إفرام) يسمع كل حرف ، نطق به صاحب المتجر ، إلا أنه لم يلتفت إليه ، أو يبال حتى بما يسمعه ، فقد اشغل كثيراً في فحص الخرائط القديمة ، بحثاً عن ذلك المرصد ، الذي تحدثت عنه (مشيرة) ، في (أتباء الفيديو) ، والذي لم يعد له وجود على الخرائط الحديثة ..

كل شيء كان يبدو له منطقياً تماماً .

الفريق أدرك أنه مستهدف ، بعد محاولة الاعتداء على (نور) ، في المستشفى المركزي ، فلجأ إلى مقر مجهول في الصحراء ، كشفه قسول صخفي ، ومن الطبيعي أن يتم نقل قائد الفريق ، إلى ما يبدو للجميع وكأنه أكثر الأماكن أمناً في العالم ..

وكذلك الزينيس ..

عائده ذلك الشعور المخيف بالغضب والثورة ، عندما تذكر أمر الزينيس ، ورغبته في الانتقام منه ، والثأر لوالده الراحل ، وسرت في عروقه موجة حارة من السخط ، جعلته يطلق زمجرة مكتومة ، وهو يطالع إحدى الخرائط القديمة ، ويقارنها بواحدة حديثة ..

ومع زمجرته ، هوى قلب صاحب المتجر عند قدميه ، وارتيك بشدة ، فلم يجد أمامه سوى أن يقول :

- هل .. هل راق لك الجهاز ؟!

استدار (إفرايم) في حركة حادة ، ليومقه بنظرة صارمة ، تراجع معها الرجل في عنف ، كما لو أن النظرة قد أصابته بصدمة عنيفة في صدره ، واتسعت عيناه في ارتياح ، وهو يحدق في وجهه ، في حين قال النورى بصوت صارم مخيف ، خيل للرجل أنه قائم من أعماق أعماق القبور :

- اهتم بشلونك يا رجل ..

ثم عاد يواصل عمله على الكمبيوتر ، مضيفاً :

- وانتظر قدوم رجال الشرطة ؟

نفجر قلب الرجل داخل صدره ، مع العبارة الأخيرة ،

وشحب وجهه في شدة ، حتى بدا أشبه بالموتى ، وارتحف جسده كله ، من قمة رأسه ، وحتى أخمص قدميه ، وتمتم دون قصد منه :

- بالطبع يا سيدي .. بالطبع ..

قالها ، دون أن يعنى شيئاً ، وقد راعه أن يبدى الشاب معرفته بما فعله ، ولا مبالاة به ، ثم راح يتسأل في حفر ، إلى خارج المتجر ، في حين تجاهله (إفرايم) تماماً ، وأخذ يواصل عمله على الكمبيوتر ، بحثاً عما جاء من أجله ..

لقد حدد موقع المرصد القديم ، الذي يجنec فيه الفريق بالفعل ..

ولكن هذا لم يكن يعنيه ..

إنه بحاجة إلى دراسة أمور أخرى ..

وعديدة ..

خطوط الكهرباء ، التي تغذى المكان ..

الحالة المناخية والجيولوجية للمنطقة ..

موقع النقاط العسكرية والأمنية القريبة ..

وغيرها ..

وغيرها ..

وبينما اتهمك في ترأساته ، اقتربت دورية الشرطة
من المكان في هدوء ، وقال قائدها لزملائه الأربعة
في حذر :

- لا تحاولوا استقرازه .. سنكتفى بمراقبته وتحديد
مساره فحسب ، طبقاً للأوامر .. لا تسموا أنه بالغ
الخطورة إلى أقصى حد .. لا إطلاق للنار .. أو احتكاك
مباشر .. هل تفهمون ؟!

أولاً الأربعة متفهمين ، ففهم ، وهو يقود السيارة
إلى منطقة محجوبة عن المتجر :

- عظيم .

كان يدور حول المدخل الرئيسى للمتجر ، فى حذر
وسرعة ، و ..

وفجأة ظهر صاحب المتجر ، الذى لم يكده يلمح
السيارة ، حتى انتفع نحوها ، ملوحاً بذراعيه ، وهاتفاً
فى زعر :

- أسرعوا .. إنه هنا .. أسرعوا ..
بلغ جنافه مسامع النووى ، فالتفت إلى المدخل فى
حركة حادة ، ثم عاد إلى الكمبيوتر ، وراجع آخر
ما يريد من معلومات ، وهو يقول لنفسه :

- لا بأس .. لن يضير قليل من النشاط .

قالها . وغادر المتجر فى هدوء ، وسيارة الشرطة
تسعى للاختفاء ، و ..

وانطلقت من النووى كرة نارياً ..
وصاح قائد سيارة الشرطة ، وهو ينصرف بها
بأقصى سرعة :

- رياه ! إنه هو ..
كان يقود السيارة فى براعة مذهشة ، وعلى الرغم
من هذا ، فقد أصابت كرة النار مؤخرة السيارة ،
فى أثناء دوراتها ، وانفجرت فيها فى عنف ، فارتفع
نصفها السفلى ، ووثب فى الهواء ، ثم عادت تسقط
أرضاً فى عنف ..

وقبل حتى أن تنقلب على جانبها ، أصابتها كرة
النار الثانية ..
وكان الانفجار أكثر عنفاً ..

وسادت موجة من الذعر فى المنطقة ، وراح
الجميع يعدون فى كل مكان ، قراراً من ذلك القاتل
الرهيب ، الذى وقف يتطلع فى هدوء إلى التيران ،
التي اشتعلت فى سيارة الشرطة ، وإلى أحد رجال

الشرطة ، الذى انطلق يعدو ، والنيران تلتهم ثيابه
وجسده ، مطلقا صرخات ألم مخيفة ، وكأنه يشاهد
عرضا هزليا مرحا ، لإحدى الفرق الجديدة ..

ثم استدار عابثا إلى المتجر ، الذى خلا من كل
رواده ، والتزعج جهاز الكمبيوتر من مكانه فى عصف ،
وألغاه أرضا ، ثم جذب مصدر الكهرباء المتصل به ،
وعطمه بضربة واحدة ، قبل أن يدفع قبضته وسط
الأسلاك العارية ..

وتذبذبت الأضواء فى المكان بشدة ..

وفى (القاهرة) كلها ..

أما هو ، فقد راح يشحن جسده بطاقة غير محدودة
من الكهرباء ، وعيناه تهرقان فى نشوة عجيبة ..
نشوة قاتل سفاح ، يستعد لارتكاب مذبحة جديدة ..
وعنيفة ..

وعندما شعر بالقوة تسرى فى عروقه ، استرع
قبضته من وسط الأسلاك ، وأدار عينيه فى المكان ،
ثم غادره فى خطوات واسعة قوية ، وما إن أصبح
خارجا ، حتى استدار يطلق نحوه كرة ناربية جديدة ،
فصرخ صاحبه من بعيد :



أما هو ، فقد راح يشحن جسده بطاقة غير محدودة من الكهرباء
وعيناه تهرقان فى نشوة عجيبة

٤٠٠ . . ليس المتجر . .

ومع صرخته ، انفجر المكان كله ، واتسعت عيناه
في ذهول وإلتياح ، وهو يحدق في الثيران ، التي
راحت تلتهم متجره في شراهة مخيفة ، وضوؤها
يتراقص على جسد الشيطان النوى ، وهو يتعد ،
ويتلشى في بطنه ، متجها نحو المرصد القديم . .
نحو ساحة المعرفة الجديدة . .
والأخيرة . .

★ ★ ★

تطلعت (سلوى) في قلق ، عبر نافذة الحجرة ،
إلى الرمال التي تزايدت سرعتها على نحو ملحوظ ،
يوحي بأن تلك الرياح لن تثبت أن تتحول إلى عاصفة
محدودة ، يصعب معها رصد الأصوات المحيطة بالمكان ،
وتحديد موقع ذلك النوى عند وصوله . .
وبكلمات واضحة ، نقلت (سلوى) قلقها إلى لسانها ،
قائلة :

- أعتقد أن هذا يقصد خطتنا إلى حد ما .

قال (أكرم) في عصبية :

- ويعني أن ذلك الوعد سينجح في مباحثتنا ، وقتما

يشاء .

هزت (سلوى) رأسها ، قائلة :

- ليس بالضرورة يا (أكرم) . . يمكنني رصد إيقاع

الرياح المنظم ، واستخلاص وقع قدمي ذلك الشاب
من بينها ، عندما يقترب من هنا . .

قال (طارق) في هدوء ، وهو يتابع أبحاثه :

- إنه لن يأتي سالرا على قدميه بالتأكيد . .

اتعقد حاجبا (أكرم) ، وهم يقسم :

- عجبنا ! لماذا يدهشني دائما أن يستغل ذلك الوعد

آية وسيلة مواصلات معروفة ؟!

أجاب (رمزي) :

- هذا أمر طبيعي ، فكلنا تعلم أنه يمتلك قدرات

خارقة ، وننصوّر في بعض الأحيان أنه لا يحتاج إلى

ما يحتاج إليه أي شخص عادي .

قال الدكتور (حجازي) :

- السؤال الآن إذن ، هو : آية وسيلة مواصلات

سيستغلها للوصول إلى هنا ؟!

بدا القلق على وجه (نور) ، وهو يقسم :

- هذا يحتاج إلى دراسة جديدة . . وسريعة .

زفر (أكرم) في حدة ، وهو يقول :

- اللعنة ! لماذا يصبر ذلك الوغد دائماً ، على إشارة .
كل توترنا طوال الوقت ؟!

لم يجبه أحد عن سؤاله ، فتابع فى حلق :

- متى ينتهى هذا الكابوس ؟!

أجابه (طارق) فى هدوء :

- قريباً يا رجل .. قريباً للغاية .

أطلق (أكرم) ضحكة عصبية ساخرة ، وهو يقول :

- يسعدنى تفاؤلك هذا يا صديقى ، ولكن الواقع

أن ...

قاطعه (طارق) يهدونه المستفز :

- ليس تفاؤلاً يا رجل .. إنه قول علمى بحت .

سأله (نور) فى اهتمام :

- ماذا تعنى يا (طارق) ؟!

عدل (طارق) وضع منظاره الطبى فوق أنفه ، قبل

أن يشير إلى شاشته قائلاً :

- ذلك النووى أخفى ومحا العديد من النتائج ، من

الكمبيوتر الخاص به ، ولهذا لم يمكننا نقلها إلينا ،

ولكننى فى طريقى للتوصل إليها الآن ، والنتائج الأولية

كلها تشير إلى أن خلاياها قد عادت إلى التسدهور

بسرعة كبيرة ، بعد أن كانت قد بدأت عملية التكيف
مع شحنها بالطاقة النووية ، ويبدو أن إعادة شحنها
كهربيًا قد أعاد إليها نشاطها السابق ، فراحت تعدو
كالصاروخ نحو نهايتها .

سأله (نور) فى اهتمام بالغ :

- وكيف ستأتى هذه النهاية فى رأيك ؟!

وأضافت (نشوى) فى قلق :

- ومتى ؟!

صمت بضع لحظات ، وهو يطالع النتائج الأولية

على الشاشة ، ثم تبادل نظرة مع الدكتور (حجازى) ،

قبل أن يقول :

- إننا نبدل قصارى جهدنا ، للتوصل إلى ما ستكون

عليه النهاية ، ولكننا استطعنا تحديد موعدها تقريباً .

والتفت يدير عينيه فى وجوههم جميعاً ، قبل أن

يضيف فى حزم :

- إنها ستأتى فى غضون الساعتين القادمتين على

الأكثر .

اتسعت عينا (أكرم) ، وهو يقول :

- ربه ! اتعسى أن ذلك الكابوس سيلزاح ، خلال
ساعتين فحسب ؟!

أجابته (نور) فى حزم :
- لو أنك راجعت ضربات ذلك العدو الخارق ، لأدرمت
أنه يستطيع أن يفعل الكثير .. والكثير جداً خلال
هاتين الساعتين .
وغمضت (نشوى) :

- لقد استغرقت عملية الهجوم على مقر الرئاسة
ثمانى دقائق فحسب .

علا حاجباً (أكرم) يلتقيان فى شدة ، وهو يقسم :
- أكان من المحتم أن تخبرينى ؟!
ابتسمت (نشوى) ابتسامة باهتة ، وهى تقول :
- كان من الضروري أن تعلم .. أليس كذلك ؟!
هز كتفيه ، ومط شفتيه فى حنى ، مغضناً :
- وما الفائدة ؟!

فجرت عبارته الأخيرة فلقهم جميعاً ، فتبادلوا نظرة
متوترة ، قبل أن يتشاعل كل منهم فى عمله ، وكأنما
يحاول محو الفكرة من ذهنه ، وإن بقى فى عقلهم
سؤال محدود ، لم يمكنهم انقزاعه منه قط ..

أية وسيلة سيتخذها ذلك النشوى ، للوصول
إليهم ؟!

وعلى الرغم من حيرتهم وقلقهم ، اتهمك كل منهم
فى عمله ، فراحت (سلوى) تعد برنامج رصد
الأصوات ، بالتعاون مع ابناتها (نشوى) ، وواصل
(طارق) والدكتور (حجازى) دراستهما لتحديد
مصدر النشوى ، فى حين راجع (نور) و (أكرم)
و (رمزى) استعدادات الدفاع ، ومواقع الدبابات
والمطارات ، التى ستهاجم ذلك العدو ، فور وصوله
إليهم ، و ..

وفجأة ، هتف الدكتور (حجازى) :

- يا إلهى ! مستحيل !

جاء هتافه فى لحظة اتهمك فيها الجميع ، واخترق
صمتاً خيم على المكان لبعض الوقت ، فاعتدل كل
منهم ، والتفتوا إليه فى تساؤل ، جعله يواصل فى
التفعل ، وهو يشير إلى شاشة جهاز (طارق)
الجديد :

- إنها كارثة .. مصيبة .. كيف لم ننتبه إليها ؟!
سأله (نور) فى قلق :

- ماذا هناك يا دكتور (حجازي) ؟

أشار الرجل مرة أخرى إلى الشائشة ، ولكن
الانفعال غلبه ، فلم يستطع التفوه بحرف واحد ، في
حين قال (طارق) في توتر ملحوظ :

- تمامًا مثل (سندريلا) (*) ... ستبدأ مرحلة النهاية
لذلك النووي ، في تمام منتصف الليل ، أي بعد أقل
من ساعة واحدة ، وليس في غضون ساعتين كما كنا
نتصور .. ولو أردتم الدقة فسأتى بداية النهاية بعد
واحد وخمسين دقيقة بالتحديد ..

سأله (أكرم) في عصبية :

- قل لي يا هذا .. لماذا تتحدث عن بداية النهاية ،
وليس عن النهاية بشكل واضح محدود ؟
أجابه (طارق) بسرعة :

(*) سندريلا : قصة في الأدب الشعبي الأوروبي ، عن فتاة
طيبة بسيطة ، تموت أمها ، ويتزوج أبوها من امرأة قاسية ، لديها
اثنان أكبريان ، وتعامل الزوجة الجديدة (سندريلا) في قسوة ،
وتمنعها من حضور حفل الأمير ، ولكن الجنية الطيبة تجعل
(سندريلا) أجمل فتيات الحفل ، بشرط أن تغادره قبل منتصف
الليل ، وعندما تهرب (سندريلا) ، تترك هذا عسا خلفها ،
ويواصلته ، يتوصل إليها الأمير ، ويتزوجها .

- لأن النهاية لن تأتي مباشرة يا (أكرم) ، ولكن
في منتصف الليل تقريبًا ، سيكون غصتنا قد استنفد
معظم المادة النووية التي شحن بها خلاياه منذ البداية ،
وهذا يعني أن المادة المشعة في أعماقها ، ستخفض
في حجمها وتكثفها (*) ، لتبلغ ما نطلق عليه (الكثلة
الحرية) ، وعند هذه المرحلة ، يكون جسده قادرًا
على الانفجار ..

وانفجاره حاد في حزم ، مستطردًا :

- نوويًا .

هو حديثه على رؤوسهم كالصاعقة ، فانسدت
عيونهم في ارتباك ، وقال (أكرم) في صوت يحوى
توتر الدنيا كلها :

- أعني أن ذلك الوغد سيتحول إلى قنبلة ؟

وافقه (طارق) بإيماءة من رأسه قائلاً :

- وقنبلة نووية أيضًا .

هتفت (سلوى) ، وقلبها يخفق في علف :

(*) الحجم هو مقدار ما تشغله المادة من فراغ ، والكتلة هي
مقدار ما يحتويه الجسم من مادة ، أما الوزن ، فهو قوة جذب
الأرض للجسم .

- يا إلهي ! يا إلهي !

وشحب وجه (نشوى) فى شدة ، وهى تنكمش فى مقعدها ، فاحتواها زوجها (رمى) بين ذراعيه فى رفق ، محاولاً تهدئتها ، فى حين قال (نور) فى توتر :
- ولكن الانفجار النووى لا يحتاج إلى كتلة حرجة فحسب .. لأبد من وجود مفجر ، ووسيلة لقذف تلك الكتلة الحرجة بالإليكترونيات لبدء الانشطار المتسلسل اللازم لحدوث الانفجار (*) .

أجابته (طارق) :

- هذا صحيح بالنسبة لقتيلة من المعدن أيها القائد (نور) ، ولكنك أمام ظاهرة جديدة .. قتيلة نووية بشرية حية ، تموج خلاياها بالنشاط والحرمة والحيوية ، وتتفاعل طوال الوقت مع العديد من سوائل الجسم وإنزيماته وهرمونه ، على نحو يمنحها طبيعة خاصة ، بحيث لن تحتاج إلى المفجر ، أو الاتبعات الإليكترونى ، إذ إنها تعمل على تنشيط نفسها بنفسها طوال الوقت ، وكل ما تحتاج إليه هو بلوغ الكتلة الحرجة : لتصبح قابلة للانفجار .

(*) حقيقة .

ثم تنهد ، مستطرداً فى أسى :

- وهذا ما توصلنا إليه .. الدكتور (حجازى) وأنا للأسف .

مرة أخرى ، وإن على المكان صمت رهيب ، وخيم الوجوم على الجميع ، قبل أن ينفض (نور) عن نفسه هذه المشاعر ، ويقول فى حسم :

- وعم ستبلغ قوة ذلك الانفجار النووى ؟

هز (طارق) رأسه نفياً ، وأجاب :

- أكثر مما ينبغي .

سأله (نور) فى صرامة :

- كم ستبلغ قوته بالتحديد ؟

تنهد مجيباً :

- ما يكفى لابتلاع (القاهرة) الجديدة بأكملها .

اتعقد حاجباً (نور) فى شدة ، وهو يبذل قصارى جهده ، فى محاولة لاستيعاب الموقف ..

كان ما توصل إليه (طارق) والدكتور (حجازى) ،
بمعنى أن كل ما تم التخطيط له لم يعد ذا فائدة ..

كل شيء فشل ..

لم يعد من الممكن مواجهة ذلك النووى قط ..

لم يعد من الممكن حتى أن ...

قبل أن تكتمل أفكاره ، اعترضتها (سلوى) فجأة ،
هاتفة :

- طائرة تقترب .

هبّ الجميع من مقاعدهم في آن واحد ، وهتف
(طارق) :

- طائرة ؟!

عقد (أكرم) حاجبيه ، مضغماً :

- يا للوغد !

وسألها (نور) في توتر :

- أي نوع من الطائرات ؟!

أجابته في انفعال ، وهي تتابع البيانات على جهازها :

- طائرة تدريب عادية .. إنها تقترب من الجانب

الشرقي .

لم تكد تكمل قولها ، حتى ميز الجميع أزيز الطائرة ،

التي تقترب ، وتتجاوز المرصد في سرعة ، فهتف

(أكرم) :

- لقد تجاوزتنا .

أشار (طارق) بسرعة إلى شاشة رادار عادي قديماً :

- شخص ما قفز منها .

تعلقت عيون الجميع بشاشة الرادار ، التي بدت

عليها نقطة صغيرة خضراء ، تنفصل عن الطائرة ،

وتهبط وحدها في بطن ملحوظ ، جعل (أكرم) يغمغم :

- الوغد يستخدم مظلة .

تتمم (نور) :

- هذا أمر طبيعي .

كان من الواضح أنه قد تخلّى عن الطائرة ، التي

بدا سقوطها واضحاً على الشاشة ، ثم لم يلبث دوى

انفجارها المكتوم من بعيد ، أن بلغ مصانع الجميع ،

في حين هبطت النقطة الخضراء على مسافة قريبة

من المرصد ، فهتفت (نشوى) :

- ماذا ننتظر ؟! فلنطلق عليه الذبابات والطائرات .

أجابها (نور) في توتر أكثر :

- مهلاً يا ابنتي .. دعينا نعلم ما تفعله أولاً ، قبل أن .

اختفت النقطة الخضراء فجأة عن الشاشة ، فهتفت

(سلوى) :

- لقد أحاطت نفسه بغلاف الإخفاء . و ...

بُسرت عبارتها بفتنة ، مع الأزيز الذي تصاعد من

جهاز رصد الأصوات ، فالتفت إليه فى الحال ،
واتسعت عيناها فى دعر ، هاتفة :

- رباه ! إنه لم يختف .

سألها (أكرم) فى عصبية ، وهو يستل مسدسه :

- ماذا تفنين ؟!

أشارت بيدها إلى الأرض فى ارتياح ، هاتفة :

- نلق الصرف الأرضى .. إنه يعدو تحونا ، عبر

نلق صرف تحت الأرض .

شحب وجه (نشوى) ، وهى تقول :

- تحت الأرض .

ولم تكذ تتم عبارتها حتى دوى انفجار عنيف داخل

المرص .

انفجار يشير إلى أن النووى قد بدأ هجومه ..

داخل المكان مباشرة ..

★ ★ ★

٨ - العاصفة ..

الجمعة : الحادى عشر من مايو ، الحادية عشرة

والثلث مساء ..

لثانية واحدة ، تجذبت مشاعر الجميع ، وهم

يحدقون فى المر ، الذى حمل إليهم دوى الانفجار ،

من الجانب الآخر للمرص ، ثم غمغم (أكرم) فى

عصبية شديدة :

- الوغد هنا .

اتطلعت عبارته ، وكأنما تحطم حالة الجمود والهلج .

اتنى أصابت الجميع فشهقت (سلوى) ، واتسعت عينا

(نشوى) ، وتراجع الدكتور (حجازى) فى عصبية ،

فى حين تلتفت (نور) و (أكرم) حولهما ، بحثاً عن

مخرج أو مهرب ، و ...

وفجأة ، اختطف (طارق) جهاز الكمبيوتر المحمول

الخاص به ، وهو يندفع نحو الجدار الجلوبى للحجرة .

هاتفاً :

- أسرعوا .

سألته (سلوى) مذعورة :

- إلى أين ؟

خيل إليهم أنه يندفع نحو الجدار مباشرة ، وكأنما لم يعد يدرى إلى أين يتجه ، إلا أنه توقف فجأة عند ركنه ، ورفع جزءاً منه ، فدار الجدار حول مركزه ، كاشفاً فجوة كبيرة ، تقود إلى سلم من الرخام ، يهبط إلى مكان ما أسفل ..

وفي ذهول ، حثق الجميع في تلك الفجوة ، ولكن (طارق) هتف في صرامة :

- أسرعوا .

اشترك حشاه المكتوم ، مع وقع قدمي النوى ، وهو يعبر الممر ، في طريقه إليهم ، فاندفعوا جميعاً لعبور الفجوة والهبوط في درجات السلم الرخامي ، و(نور) يسأل (طارق) في توتر :

- إنه لأحد المخاطر السرية القديمة .. أليس كذلك ؟

أجابه (طارق) في اقتضاب :

- بلى .

لم يكن هناك وقت للمناقشة والمحاورة ، لذا فقد هبط الجميع إلى المخبأ المظلم ، وتبعهم (طارق) ، الذي ضغط حجراً في الداخل ، فعاد الجدار يدور حول

مركزه ، في الاتجاه العكسي ، ليطلق المخبأ خلفهم ، في نفس اللحظة التي يبرز فيها النوى داخل حجرتهم ، وتعتقد حاجباه في غضب شديد ، عندما وجد الحجرة خالية أمامه ، وأطلق صرخة قوية ، صاخبة :

- لن يمكنكم الفرار أبداً .

ثم أطلق كرة نارية ، نحو الجدار المواجه له مباشرة ، فاتفجرت فيه في عنف ، وأطاحت به على نحو مخيف ، إلى الحجرة المجاورة ، التي اتجه إليها النوى ، وهو يصرخ :

- أين أنتم ؟

تلقت حوله داخل الحجرة الأخرى ، وتضاعف غضبه وجنونه ، عندما وجدها خالية بدورها ، فعاد يطلق صرخة غاضبة ، مع صاعقة محدودة ، نسفت جدار الحجرة ، وألقته على رمال الصحراء خارج المرصد . ومع سقوط الجدار ، اندفعت الرياح والرمال إلى المكان ، على نحو مخيف ، وبرقت عيناً (إفرايم) في ثورة وعصبية ، وراح يديه في المكان ، قيل أن يندفع عالياً إلى الحجرة الأولى ، وكل عرق في جسده ينهض بغضب لا حدود له ..

في البداية ، تصور أن وصوله إلى المكان كان جزءاً من خدعة كبيرة ..

خطة لإحضاره إلى المكان ، ثم نفسه عن آخره .. ولم يكن هذا ليقلقه كثيراً ..

إنه يعلم أن غلافه الواقى قادر على التصدى لأقوى وأعلى الانفجارات المعروفة ..

ولكن هذا الأمر لم يكن منطقيًا ..

هاهى ذى أجهزة الكمبيوتر ورصد الأصوات فى موضعها ..

وقلها تعمل ..

ولم تنطقى شاشاتها ، أو تبدأ برامج حمايتها بعد (*) ..

وهذا يعنى أن مستخدميهما كانوا هنا منذ قليل ..

قليل جداً ..

أين ذهبوا إذن ؟؟

(*) فى كل أجهزة الكمبيوتر - تقريباً - توجد برامج لصاية الشاشة ، وتوفر طاقاتها ، وفده البرامج تبدأ عملها ألياً وتلقائياً ، إذا ما تركت الأجهزة مفتوحة لفترة طويلة ، وبعض أجهزة الكمبيوتر تغلق نفسها ، إذا ما توقف التعامل معها لفترة ممدودة ، يتم ضبطها تلقائياً ..

أين ؟؟

أين ؟؟

انطلقت ثورة الغضب مرة أخرى فى أعماقه ، فلوح بقبضته ، صارخاً :

- إنكم فى مكان ما هنا .. أنا واثق من هذا .. وإن يمكنكم الفرار منى ، مهما فعلتم ..

سأعثر عليكم ، حتى ولو اضطرت لهدم هذا المرصد حجراً حجراً .. هل تفهمون ؟؟ سأعثر عليكم حتماً ..

راح يدور حول نفسه ، بحثاً عن المخرج ، الذى غادروا عبره الحجرة ، وتضاعف غضبه وجنونه مرات ومرات ، وعقله يدور بأقصى طاقته فى جمجمته ، بحثاً عن تفسير منطقي لاختفائهم ..

كانت النواخذ كلها مغلقة من الداخل بإحكام ، والمخرج الوحيد للحجرة ، هو غير المرص ، الذى أتى منه .. إذن فقد ذهبوا قبل حضوره حتماً ..

التقطوا صوت مروره فى نفق الصرف ، أو حتى زئير الطائرة ، التى أتى بها ، ففروا قبل وصوله إليهم ..

ولكنهم لم يفاندروا المرصد ..
 إنه لم يسمع صوت انطلاق أية وسيلة من وسائل
 المواصلات الحديثة ..
 لا سيارات ، أو طائرات ، أو حتى زحافات رملية ..
 إنهم هنا إذن ..
 داخل المكان ..
 وسيعمل على ألا يفلتوا منه أبداً ..
 حتى ولو نفذ ما توعد به . ونسف كل جدار في
 المكان ، حتى يتحول إلى غومة من الأقباض ..
 لقد أقسم أن ينتقم . من كل من تسبب في موت
 أبيه ..
 وإن بحث بقسمة هذا ..
 أبداً ..
 وبكل غضبه وثورته ، صرخ :
 - لن تفلتوا ..
 صرخ بها ، وهو يطلق صاعقة أخرى ، وينسف
 جداراً آخر ، ليتطلق بحثاً عنهم ..
 ودخل المخبأ المظلم ، غصمت (سلوى) في رعب :
 - لقد أصبحنا سجناء هنا .. هل سمعتم الانفجارات ؟

غضبه سيدفعه لهدم الجدران ، واحداً بعد الآخر ، حتى
 يأتي دور الجدار ، الذي يخفى هذا المخبأ ، وتكون
 نهايتنا ..
 قال (نور) في حزم :
 - لا يمكننا الانتظار ، حتى يبلغ ذلك الحد ..
 قالت (نشوى) مدعورة :
 - وماذا تقترح يا أبي ؟ هل نخرج لتقاتله ؟
 أجابها في حزم :
 - لا يمكننا أن نفعل هذا ، ولكن ..
 صمت لحظة ، خيل للجميع خلالها أن ظلمة المكان
 قد تضاعفت ، قبل أن يغتم الدكتور (حجازي) :
 - ولكن ماذا يا (نور) ؟
 لم يجب (نور) سؤال الدكتور (حجازي) . وإنما
 سأل (طارق) في اهتمام :
 - قل لي يا (طارق) .. هل يحوى مدخل المخبأ أية
 مواد معدنية ، أو خرسانية ثقيلة ؟
 أجابه (طارق) بسرعة ، وهو يتساءل عن سبب
 السؤال :

- كلا أيها القالد .. إنه مجرد جدار عادي ، يدور حول محور مركزي ، فوق قاعدة من الصلب .

قال (نور) في اهتمام :

- عظيم .. وهل يحوى جهاز الكمبيوتر المتنقل ، الخاص بك ، وسيطا هاتفيا لاسلكيا ؟؟ (*) .

أجاب (طارق) في حماس ، وكأما بدأ يستوعب ما يهدف إليه (نور) :

- بالتأكيد .

سأل (أكروم) في عصبية :

- أديك خطة جديدة يا (نور) ؟؟

أجاب (نور) في حزم :

- بل مجرد تطوير للخطة القديمة يا صديقي ..

سنستخدم الوسيط الهاتفي اللاسلكي لـ (طارق) ،

لنتصل بأجهزة التحكم عن بعد ، في الكمبيوتر الرئيسي ،

وندفع الدبابات والطائرات للهجوم .. كل ما في الأمر

هو أننا سنهاجم بها المرصد هذه المرة ، وسنحجب

ذلك السفاح على الاشتباك معها بمنتهى العنف ..

(*) بعض أجهزة كمبيوتر المفكرة المتنقل (Note Books) .

تعمل وسيطا هاتفيا (مودم) لاسلكيا ، يمكن بواسطته إجراء

اتصالات هاتفية ، أو نقل المستندات والمعلومات والوسائط عبر

الأكبر ، تماما مثل الوسيط الهاتفي السلكي ..

فتح (طارق) جهاز الكمبيوتر المتنقل على الفور .
فتأملت شاشته بضوء هادي ، بدد الظلمة الكثيفة
للمكان ، وهو يقول :

- أنعمم ألا يكون قد نسف الكمبيوتر الرئيسي .

غمغم الدكتور (حجازي) :

- قلندع الله (سبحانه وتعالى) ، ألا يكون قد فعل .

تعلقت عيونهم جميعا بأصابع (طارق) ، وهي

تجري على أزرار الكمبيوتر ، في سرعة وحماس ،

قبل أن يهتف :

- الأجهزة تعمل بكفاءة ، ونحن على اتصال بها

الآن .

قال (نور) لاينته (نشوى) :

- فلنبدا المعركة إذن ..

التقطت (نشوى) الكمبيوتر المتنقل من (طارق) ،

وهي تقول :

- سمعا وطاعة .

كانت شاشة الكمبيوتر تحمل مشهدا ، أشبه بالعباب

الفيديو التقليدية ، وتبدو عليها مواضع الدبابات

والطائرات ، التي يتم التحكم فيها آليا ، ولقد بدأت

(نشوى) عملها ، وهى تقنع نفسها بأنها مجرد لعبة
 أخرى ثلاثية الأبعاد ، من ألعاب الفيديو ، و ...
 وتلقت الدبابات والطائرات إشارة البدء ..
 وتحركت ..
 وفى نفس اللحظة ، اتى اتجاه فيها نحو المرصد ،
 كان غضب (إفرايم) قد بلغ ذروته ، وهو ينصف
 الجانب الغربى كله من المرصد ، ويصرخ :
 - مستحيل ! لا يمكن أن يكونوا قد ذهبوا بعيداً ..
 إنهم هنا .. جميعهم هنا ، فى مكان ما .. فريق
 المخابرات العلمية ، والرئيس ، وطاقم حراسه ..
 كلهم هنا حتماً ..
 ومع نهاية صرخته ، أطلق كرة نارية أخرى ،
 داخل مكتبة المرصد القديمة ..
 ودوى انفجار جديد ..
 والنار جدار آخر ..
 واحترقت الأرفف الخشبية ، وتطايرت منها أوراق
 وخرائط مشتعلة ، و ...
 وتوقف بصر (إفرايم) بفتة عند رسم هندسى كبير ،
 ملصق على جدار المكتبة ، خلف الأرفف المشتعلة ..

رسم يوضح حجرات المرصد القديم ، وقاعته ..
 والمخبأ السرى فيه ..
 وبرقت عين النشوى فى شدة ..
 وأضاعت المكان كله ..
 الآن فقط أدرك أين هم ؟
 أين اختبأ الجميع ؟
 واقتفض جسده كله فى نشوة ، وهو يطلق ضحكة
 عالية مجنونة ، ويهتف :
 - كنت لكم : إتنى ساعتر عليكم .. قلتها وفعلتها ..
 وفهقه مرة أخرى ضاحكاً فى جنون ، قبل أن يتحرك
 فى سرعة ، عائداً إلى الحجرة ، التى تحوى ذلك المخبأ ..
 ولكن فجأة بدأ الهجوم ..
 اقتضت المقاتلات والدبابات على المرصد القديم ،
 والتقطت صورة النشوى المسجلة فى أجهزة الكمبيوتر
 داخلها ، فوجهت نحوه فذلقها ..
 ودوت عشرات الانفجارات ..
 صواريخ المقاتلات ، وقذائف الدبابات ، انفجرت
 كلها على المدرع الكواقى للنشوى الذى التفت إليها ،
 وأطلق صرخة غاضبة :

- لن يمكنكم منعنى من إكمال انتقامى قط .. لن
يمكنكم أبداً ..

وانطلقت كراته النارية تنسف الدبابات ، وتسحق
المقاتلات ، فى غضب جنونى مخيف ..

وفى المخبأ السرى ، كانت آلات التحكم عن بعد
تستقبل المشاهد نفسها ، التى تسجلها آلات التصوير ،
والفريق يشاهد ما يحدث ، فهتف الدكتور (حجازى) :

- رباه ! إنه يقاتل فى شراسة مخيفة .. ذلك الجيش
الصغير لن يصمد أمامه لأكثر من دقائق خمس ..

قال (نور) فى حزم :

- ولكن القتال سيستنزف معظم طاقته ..

ثم التفت إلى (طارق) ، على الضوء الخافت ،
المنبعث من الكمبيوتر المتنقل ، مستطرداً :

- افتح المخبأ ..

توترت (نشوى) ، وهى تقول :

- هل .. هل سنخرج !!

أجابها فى حزم ، و (طارق) يسرع بفتح المخبأ :

- لا بد أن نرسل الإشارة المتفق عليها إلى

(القاهرة) ..

دار جدار المخبأ حول نفسه ، وبدأ ضوء الحجرة
من خلفه ، فاندفع (نور) إليها ، وضغط أزرار جهاز
البث فى سرعة ، ودوى الانفجارات يبلغ مسامعه .

وانطلقت الإشارة من جهاز البث ..

وبلغت (القاهرة) ، فى اللحظة نفسها تقريباً ..

وعندما حدث هذا ، كان النووى ينفذ آخر مقابلة
حربية ، ثم يستدير لمواجهة ثلاث دبابات قوية ، تبقت
أمامه ..

كان يدرك جيداً أن هذا القتال العنيف يستنزف
الطاقة المختزنة فى خلاياه ..

ولكن هذا لم يكن يقلقه كثيراً ..

لقد حدد مسبقاً خطوط الكابلات الكهربائية ، التى تمتد
المرصد القديم بالطاقة ، وسيستخدمها لي شحن جسده
وخلاياه مرة أخرى ..

وأخيرة ..

نعم .. كان يدرك جيداً أنها ستصبح آخر مرة
يشحن فيها نفسه بالطاقة ..

وأخر مرة يحصل فيها على القوة الخارقة ..

آخر ما قام به من فحوص ، أبلغه أن الوسيلة التى

استخدمها ، لشحن خلاياه بالطاقة الكهربائية ، جعلت
 ساعاته في الدنيا محدودة عن ذي قبل ..
 ولكنها أكثر فاعلية ..
 وعليه أن يحسن استغلالها خير استغلال ..
 قبل أن تحين اللحظة الأخيرة ..
 ويتحول جسده إلى قبلة ..
 وينتهي كل شيء ..
 ومن هذا المنطلق ، أطلق صاعقة قوية ، لينسف
 إحدى الدبابات الثلاث ، و ...
 وفجأة ، انقطع التيار الكهربى ..
 انقطع في (القاهرة) الجديدة كلها ..
 وما حولها ..
 إلى المرصد ..
 واتسعت عينا النوى في غضب وثورة ..
 وصرخ :
 - لا .. لا يمكنهم أن يفعلوا هذا ..
 ومع صرخته ، أطلق عمرة نارية ، انفجرت في صدر
 الدبابة الثانية ..
 ثم استدار ليواجه الدبابة الأخيرة ..
 الآن فقط فهم لماذا استرجوه إلى هنا ..

ولماذا دفعوه لقتال كل هذه الدبابات والطائرات ..
 الآن فقط أدرك ما فعلوه به ..
 لقد استنفدوا طاقته ، في قتال جانبي عنيف ..
 ثم استعدوا لقتله بعدها ..
 ولكن لا ..
 لن تفلح خطتهم أبداً ..
 إنه يعلم أن نهايته ستأتي بعد أقل من ساعة ..
 بل من نصف الساعة ..
 وهذا يعني أنه لم يعد لديه ما يخسره ..
 سيقا تل حتى آخر رمق ..
 وحتى آخر نفس يتروّد في صدره ..
 وبكل غضبه وثورته ، أطلق صاعقة نحو الدبابة
 الأخيرة ، فسحقها سحقاً ، ثم استدار ، وميانه كله
 يشتعل ، ليبدأ معركة الأخيرة ..
 المعركة الفاصلة ..
 الحاسمة ..
 ولكن لم يكن يعلم أن (نور) وفريقه قد استغلوا
 لحظات قتاله مع ذلك الجيش الصغير ، الموجه عن
 بعد ، ليرتدوا أزياءهم الواقية (م ف - ١٨) ، استعداداً
 للمواجهة الحاسمة ..

وعندما بلغ النووى تلك الحجرة ، التى تضم أدوات الفريق ، كان فى مواجهته أربعة أشخاص ، فى دروعهم الواقية ، وكل منهم يحمل مدفعاً ليّزياً شديد التدمير ..

(نور) ، و (أنكرم) ، و (رمزى) ، و (طارق) ..
وفى نفس اللحظة ، التى خطا فيها داخل الحجرة ، هتف (نور) :
- الآن ..

وانطلقت المدافع الليّزية الأربعة فى آن واحد ..
وأصابت كلها الهدف فى آن واحد ..
وعلى الرغم من قوة الانفجار ، الذى نشأ من التقاء حزم الأشعة الأربعة ، عند جسم النووى ،
والذى ارتج له المكان كله ..
وعلى الرغم من أن الضربة أصابت جسده كائف ألف صاعقة ..
إلا أنها لم تقتله .

فقط انتزعته من مكانه ، ودفعته متراً واحداً إلى الخلف ، ليسقط على ظهره فى علف ..
ولكن سقوطه لم يستغرق ثانية واحدة ..



وبكل غصه وثورته ، أطلق صاعقة نحو الدبابة الأخيرة ، لمسحقها سحقاً ، ثم استداز ، وكيانه كله يشتعل ، ليبدأ معركة الأخيرة

لقد وثب واقفاً على قدميه فى سرعة مذهشة ،
وأطلق صرخة جبارة ، كاد قلب (سلوى) يتوقف بسبب
قوتها وعنفها ، على الرغم من وجودها داخل المخبأ ..
ثم ضم قبضته معا ، وصرخ :

— اذهبوا إلى الجحيم ..

وبفرقة قوية عنيفة ، انطلقت من بين قبضتيه
صاعقة زرقاء هائلة ، أضاعت المنطقة كلها تقريباً ،
وهي تتلظى نحو الرفاق الأربعة ..

كانت كل الدراسات ، التي أجريت على الزى الواقى
(م ف - ١٨) ، تؤكد أنه قادر على احتمال قذيفة
موجّهة ، من قذائف الطائرات المقاتلة الحديثة ، دون
أن يتمزق ، أو يظهر به خدش واحد ..

ولكن يبدو أن تلك الصاعقة كانت تحوى طاقة
هائلة ، تفوق بكثير قذائف الطائرات المقاتلة الحديثة ..

لقد انفجرت وسط الرفاق الأربعة ، الذين شعر كل
منهم وكأن قنبلة قد انفجرت داخل جسده ، فانتزعته
من مكانه ، وألقته به بعيداً فى عنف رهيب ..

(أكرم) اندفع إلى الخلف واصطدم بالجدار كالقنبلة ،
فدار حول نفسه ؛ وقذف داخل المخبأ ..

و (طارق) وجد نفسه يطير إلى اليسار ، ويدور
حول نفسه فى الهواء ، قبل أن يرتطم بأحد الجدران
فى عنف شديد ، ثم يسقط أرضاً كالحجر ..

و (رمزى) طار من موضعه ، غيّر الجدار
المهدوم ، بين حجرة الفريق والحجرة المجاورة ، التي
سقط داخلها ، وتخرج فيها فى قسوة ..

أما (نور) ، فقد اقتلعه الانفجار من مكانه ، ورفع
جسده إلى قرب السقف ، قبل أن يسقط مرة أخرى ،
ويرتطم صدره بجهاز الكمبيوتر الرئيسى ، الذى سقط
معه أرضاً ، وانفجر بدوى شديد ..

وعلى الرغم منه ، تأوه (نور) فى ألم بالغ ..
لقد تحطم ضلعان جديده فى صدره ، وانثنت
الأضلاع التي تحطمت من قبل ..

وكان الألم رهيباً ..

إلى أقصى حد ..

وفى غضب ، أضاء النوى المكان بعينه ، وهو
يقول :

— هل تصوّرتُم أن بإمكانكم هزيمتى ، لمجرد أنكم
قد نجحتم فى قطع التيار الكهربى ، وتأزرتُم معاً ؟

خطأ أيها الأغبياء .. خطأ .. مازالت لدى طاقة هائلة ،
تكفى لكل ما تبقى لى من وقت .
ثم سأل فى صرامة مخيفة :
- والآن .. أين الرئيس ؟
أجابه (طارق) فى ألم ، وهو ينهض فى صعوبة :
- الرئيس ليس هنا بالطبع .. كانت مجرّد خدعة ،
لإجتذابك إلى هنا ..

التفت إليه النووى ، صارخاً :
- كاذب ..

ومع صرخته ، أطلق نحوه كرة نارية ، تفجّرت فى
صدر الزى الواقى ، واقتلعت مرة أخرى من مكانه ،
لتضرب به الجدار بكل العلف ..
وفى غضب ، صرخ النووى :
- أين الرئيس ؟

تهض (نور) ، ممسكاً صدره فى ألم ، وهو يقول :
- (طارق) لم يكن كاذباً .. الرئيس ليس هنا .
صرخ النووى مرة أخرى :

- كاذب .. كلهم كاذبون .. كاذبون ..

صرخ بها ، وهو يرفع قبضته ، ليطلق كرة نارية
أخرى نحو (نور) ..

وكان (نور) يعلم أن جسده لن يتحمل هذه الضربة
الضعيفة قط فى حالته هذه ..
وأن كرة القنار لو أصابت جسده ، وعلى الرغم من
زبه الواقى ، لجأتها ستقتله حتماً ..
وبلا رحمة ..

★ ★ ★

شعر (أكرم) بصدمة هائلة ، عندما انفجرت تلك
الصاعقة ، ودفعته قوة مخيفة فى صدره ، فاقتلعت
من مكانه ، وقذفت به إلى الخلف ، ليرتطم بجانب
جدار المخبأ السرى فى عنف ..

ومع الصدمة القوية ، دار الجدار حول محوره ،
وألقي به داخل المخبأ ، فسقط على الدرجات الرخامية ،
وتكسحرج فوقها كالحجر ، قبل أن يسقط عند قدمى
الدكتور (حجازى) ، الذى أسرع يعاونه على النهوض ،
وهو يهتف :

- رباه ! لقد أصابك بشدة يا ولدى .

كان (أكرم) يشعر بالآلام هائلة ، قلى كل جزء من
جسده ، من أثر الصدمة والسقوط . وعلى الرغم من هذا ،
فقد هب وألقا على قدميه ، وهو يقول فى عصبية :

ذلك الوغد أقوى مما كنا نتصور بكثير .. لقد فقد معظم طاقته ، ولم يعد بإمكانه إعادة شحن جسده ، وعلى الرغم من هذا ، فقد تلقى حزم الأشعة ، وكانت تلقى زخة من الماء المنعش ، وكان يقتلنا جميعاً بصاعقة رهيبة .

تلفت (سلوى) في ارتياح :

- يا إلهي ! (نور) .. (نور) في خطر .

قالت (نشوى) ، ودموعها تتفجر من عينيها ، وتصر وجهها في غزارة :

- بل كلنا في خطر يا أسي .. (القاهرة) الجديدة كلها في خطر .. سينتهي أمرنا جميعاً ، عندما ينفجر . قال (أكرم) في عصبية ، وهو يلقي مدفعه الليزري جانباً :

- لا ينبغي أن نسمح بحدوث هذا قط .

قال الدكتور (حجازي) في يأس :

- وهل توجد وسيلة لمنع الانفجار النووي القادم ؟
اعتقد حاجبا (أكرم) ، وهو ينتزع زيه الواقى قاتلاً في حزم :
- بالتأكيد .

كان صراخ النووى الغاضب يبلغ مسامعهم ، وهو يستجوب (نور) و (طارق) ، فخلق قلب (سلوى) ، وهي تقول :

- أية وسيلة تلك ، التي يمكن أن تمنع كارثة كهذه ؟
أجابها (أكرم) ، وهو يستل مسدسه من حزامه :
- الموت .

لم يفهم أحدهم ما يعنيه ، فتابع في صرامة :

- أن يموت ذلك الوغد ، قبل منتصف الليل .
ألقى الدكتور (حجازي) نظرة سريعة على ساعته ، وقال :

- إنها الثانية عشرة إلا سبع دقائق فحسب .

قال (أكرم) في حدة :

- وهذا يعني ضرورة أن نتحرك بأقصى سرعة .

ثم التفت إلى (سلوى) قاتلاً :

- الغلاف الواقى الذى يحيط بذلك الوغد ، عبارة عن ذبذبة كهرومغناطيسية فالقة .. أليس كذلك ؟
أومات برأسها إيجاباً في ارتياح ، فتابع :
- هل يمكنك استخدام كمبيوتر (طارق) المتحرك ، لاخترق تلك الذبذبة ، وإيقاف عملها ؟

اتسعت عيناها في دعر ، وهي تشير إلى مدخل
المخبأ ، قائلة :

- لست أرى ما إذا كان هذا ممكنا أم لا ، ولكنه
إن ينجح لأكثر من ثانية أو ثابنتين .

أجابها في حزم :
- هذا يكفي .

هفتت في ارتياح :

- ولكن ليس لدينا الوقت لهذا .

كانت صرخة النووى الأخيرة تيلفها ، فصرخت
بدورها :

- إنه سيقتل (نور) .

استدار (أكرم) إلى المدخل في غضب هائل ،
هاتفا :

- الوغد ..

كان للنووى في تلك اللحظة بصوب قبضته إلى
(نور) ، ويطلق كرتة النارية . و ...

وصرخ (طارق) فجأة ، وهو يهبط من سقطته ،
ويعدو نحو (نور) :

- لا .. ليس (نور) .

ويكل قوته ، وثب يعترض طريق كرتة النار ، قبل
أن تبلغ (نور) .

وارتطمت به الكرة النارية بكل قوتها ..
وانفجرت في صدر زيه الواقى ..

واندفع (طارق) إلى الخلف في عنف ، وارطم
بـ (نور) في قوة ، انتزعت هذا الأخير من مكانه ،

مع آلام رهيبية في جسده كله ، ليضطدم الاثنان بجدار
المخبأ ، ويتدحرجان معا داخله ، على نحو يكفى

لتحطيم كل عظمة في جسديهما ، قبل أن يستقرا
داخله ..

ويكئ الذعر الذى سلا كياتهما ، اندفعت (سلوى)
و (نشوى) نحو (نور) ، هاتفتين :

- (نور) .. رباه !! هل .. هل ..

تحرك النووى في صرامة نحو المخبأ وهو يقول :

- قلت لكم : إنكم لن تفلتوا متى قط .

تراجع الدكتور (حجازى) ، هاتفا في ارتياح :

- يا الهى ! إنه قادم إلينا .

تلقت (أكرم) حوله في عصبية ، بحثا عن مخرج
آخر ، ووقع قدمى النووى يقترب ..

ويقرب ..

ويقرب ..

ثم ظهر شبحه عند مدخل المخبأ ..

وتألفت عيناه في قوة ..

واتبع متهما ذلك الضوء الساطع ..

وغمر الجميع ..

وانقض جسد (نشوى) في ارتياح ..

وشبهت (سلوى) ..

وتجمعت أطراف الباقين ..

ورفع النوى قبضته نحوهم ، و ..

وكانت لحظة رهيبة ..

وقاتلة ..

« (إفرايم) ... »

انطلق الاسم في المكان ، بصوت (رمزى) ، الذى

عاد غير الجدار المنهار ، فاتخذ حاجبا (إفرايم) فى

شدة ، وخفض قبضته ، وهو يلتفت إليه فى حركة

خادة ، فتابع (رمزى) ، وهو يلهث ، من فرط التعب ،

والألم ، والانفعال :

- (إفرايم سالوم) .. أو (إبراهيم سالم عسران) ..

ليس هذا هو اسمك الحقيقى ؟!

زمر (إفرايم) كوحش كاسر ، وهو يقول :

- لقد توصلتم إليه .. هذا يعنى أنكم أكثر براعة

مما كنت تصور ..

اقرب منه (رمزى) فى حذر ، وهو يقول :

- لسنا نعرف هويتك الحقيقية فحسب يا (إفرايم) ،

ولكننا نفهم أيضا لماذا تسعى للانتقام .

اعتقد حاجبا الشاب فى شدة ، وهو يتابع حركته فى

حذر ، فغمس الذكتور (حجازى) فى توتر :

- (رمزى) يستغل موهبته فى الطب النفسى .

همس (أكرم) فى عصبية ، وهو يلقي نظرة على

ساعته :

- لن يفيد هذا ، بعد ست دقائق من الآن ..

ثم عاد يثقلت حوله قائلا فى حدة :

- لابد أن أجد وسيلة للخروج من هنا .. لابد .

فتح (طارق) عينيه فى صعوبة ، وأشار بيده إلى

ركن المخبأ فى تهالك ، مغفعا :

- فتحة التهوية .. فتحة التهوية ..

تألفت عينا (أكرم) ، وهو يقول :

.. أه .. بالفعل .. أشكرك يا صديقى .. أشكرك كثيرا ..

ثم التفت إلى (سلوى) قائلا فى لهفة :

.. ابذلنى قصارى جهدك لإزالة الغلاف الواقى ..

ابدئى الآن .. لمنا ندرى كم من الوقت ، سيستمر

(رمزى) من خداعه .

أومات برأسها إيجابيا فى توتر بانغ ، وهى تلتقط

كمبيوتر (طارق) المتحرك ، فى حين اندفع هو نحو

فتحة التهوية فى الركن ، وانترع غطاءها بجذبة

قوية ، فسألت (نشوى) فى طلع :

.. (أكرم) .. هل ستذهب هكذا ، بمسدس عادى ،

ودون زى واقى ؟

ابتسم فى سخوية عصبية قائلا :

.. وفيم أفادنا هذا ؟

ودون أن يضيف حرفا آخر ، دفع جسده داخل

فتحة التهوية ، واختفى فيها تماما .. وفى نفس

الوقت الذى فعل فيه هذا ، كان (رمزى) يقول للشباب

فى لهجة هادئة وبكلمات مدروسة خبيرة :

.. لقد حوكم والدك وأدين وصدر ضده الحكم بالإعدام .

وكل هذا قبل حتى أن تولد ، وعلى الرغم من هذا فقد

تعذبت منذ مولدك ، بسبب ما حدث .. أمك لم تتوقف

يوما واحدا عن تذكيرك بالأمر ، بل وعرضت عليك

يوما فيلما تسجيليا للمحاكمة إلى الحد الذى حطم

أعصابك وأعصابها .

أرداد انعقاد حاجبى (أفرايم) ، وهو يستمع إليه فى

صمت شارده ، شجع (رمزى) على التقدم أكثر

وأكثر ، وهو يتابع :

.. جبرتما فى (تل أبيب) لم يعملوا صراخها

وصراخك فأبلغوا الشرطة ، و ..

واصل (رمزى) التحدث إليه فى بضع ، محاولا

إضاعة المزيد والمزيد من الوقت ، عسى أن يجد رفيقه

وسيلة للنجاة ..

والعجيب أنه فعل هذا ، دون أن يدرك أن (أكرم)

كان ، فى تلك اللحظة ، يدفع جسده بكل قوته ، عبر

ما سورة التهوية ، وهو يقول لنفسه فى توتر :

.. أسرع يا (أكرم) .. أسرع .. المأسورة ضيقة ،

وراحتها العفنة تكاد تزعم أنك ، وتفقدك الوعى .

ولكن كل رفاقك يعتمدون على نجاحك .. احتمل ، وقاوم ،
واقع جسدك إلى الأمام .. هيا .. أسرع .. أسرع ..
الوقت أمامك ضيق للغاية .. ولا ينبغي أن تضع ثانية
واحدة .. هيا .. هيا ..

كان جسده محشوراً داخل تلك الماسورة الضيقة ،
ويدفعه إلى الأمام بصعوبة ، ولكنه لم يتوقف لحظة
واحدة ، حتى بلغ ماسورة رأسية قصيرة ، فالتحنى
داخلها ، ودفع جسده إلى أعلى في صعوبة حتى بلغ
ماسورة أفقية أخرى كاد عاموده الفقري ينكسر وهو
يدفع نفسه داخلها قسراً في صوت لاهت من فرط
الإرهاق والانفعال :

- هيا يا (أكرم) .. لا تجعل هذا يوقفك .. ابذل
قصارى جهودك لتتحول إلى رجل مطاوى ، حتى يمكنك
عبور تلك المنحنيات الضيقة ، ولكن لا تستسلم أبداً
مهما كان الثمن .. هيا .

ومع الجهد الخرافى الذى يبذله ، كان (رمزى)
يواسل حديثه مع (إفرام) قائلاً :

- العلاج النفسى كان يمكن أن يفيدكما معاً .. أمك
وانت ، لولا أنها أصرت على العودة لممارسة الضغوط

نفسها بعد انتهاء فترة العلاج ، مما حطم أعصابك ،
ودمر كيانك ، وجعلك تتصور أن الوسيلة الوحيدة
أمامك ، للتخلص من هذا العذاب ، هى أن تلغى فى
الفكرة حتى النخاع ، وتكتنع بأن هدفك فى الحياة هو
الثأر والانتقام .. فقط الثأر والانتقام .

برقت عيننا (إفرام) فى شدة ، وهو يقول :

- نعم .. الثأر والانتقام .

ثم مال نحوه ، مستطرداً فى صرامة وحشية :
- وبمناخية الحديث عن الثأر والانتقام .. أين

الزليس !؟

أترى (رمزى) لعابه ، وهو يقول :

- الزليس ليس هنا .

اتعقد حاجباً (إفرام) فى غضب هادر ، ورفع
قيضته نحو (رمزى) ، الذى تراجع فى خوف ،
مكتملاً :

- ولا يمكن أن يكون هنا .. المكان غير صالح
لحمايته ، على الوجه الأمثل .. لقد كانت مجرد خدعة ،
لجذبك إلى هنا فحسب .

تضاعف غضب الشاب ، وهو يصرخ :

- مجرد خدعة .. خدعة حقيرة .. هل تصوّرتكم أنكم
تستطيعون الظفر بي ، لمجرد أنكم نجحتم في اجتذابي
إلى هنا ؟! هراء .. ربما فقدت الكثير من طاقتي ،
ولكن المتبقى يكفي لنسفكم جميعاً ..
ثم صرخ مرة أخرى :
- جميعاً .

هو قلب (سلوى) بين ضلوعها ، وارتجفت
أصابعها ، التي تعمل بأقصى سرعتها على جهاز
الكمبيوتر المتنقل ، وهي تتمتع في لهجة من يوشك
على الانهيار :
- كل شيء معد يا (أكرم) .. أسرع بالله عليك ..
أسرع .

ومع آخر حروف كلماتها ، صرخ الشاب في غضب
هائل :
- لقد خدعتموني ، وأفسدتكم حملتي الانتقامية ،
والشيء الوحيد الذي تستحقونه هو الموت .. الموت
وحده .

وفي نهاية العبارة ، ضم قبضته في قوة ..
وانطلقت من قبضته كرة نارية ، ارتطمت به (رمزي) ،

وتفجرت في صدر زيه الواقى ، فانتزعته من مكانه
في علف ، ودفعته أمامها لستة أمتار كاملة ، عبر
الجدار المحطم ، لتلقى به مرة أخرى على رمال
الصحراء ..
ومع الآلام الرهيبة في صدره ، تلاوه (رمزي) مرة
واحدة ..

ثم فقد وعيه ..

وعندما كانت الرمال الرفيعة ترتطم بجسده ، كان
النوى يلتفت إلى الباقيين ، وعيناه تبرقان على نحو
مخيف ، وينبعث منهما ضوء مبهر ، غشى عيون
الجميع ، وهو يرمجر في وحشية رهيبة هائفاً :
- للمرة الأخيرة .. أين الرئيس ؟!

ضغطت (سلوى) آخر أزرار إعداد برنامجها ، ثم
وضعت سبابتها على زر الإكمال ، هاتفية في أعناقها ،
وجسدها كله يرتجف في قوة :
- أسرع بالله عليك يا (أكرم) .. أسرع .

أما (نشوى) فقد عجزت ساقاها عن حملها ،
فسقطت أرضاً هاتفة :

- (رمزى) .. زوجى (رمزى) ، وابنى (محمود) ..
رياء ! إنها النهاية .. إنها النهاية .

وتراجع الدكتور (حجازى) فى ارتياح ، فى حين
أغلق (طارق) عينيه فى ألم ومرارة ، وأمسك
(نور) صدره محاولاً التغلب على آلامه وهو يهتف :
- ألا يمكنك أن تفهم أبداً .. الرئيس ليس هنا .

وقال (طارق) فى حدة :
- اذهب إلى الجحيم يا هذا .. لن تظفر بالرئيس
قط .

اشتعلت عينا (إفرايم) أكثر وأكثر ، وهو يصرخ :
- نعم أيها المتحذلق .. سأذهب بالتأكيد إلى الجحيم ،
ولكننى لن أذهب وحدى ..

وضم قبضتيه إلى بعضهما البعض ، مستطرداً فى
ثورة :

- كلكم ستذهبون معى .. (القاهرة) الجديدة كلها
ستذهب معى إلى الجحيم .

صرخت (سلوى) و (نشوى) ، واتسعت عيون
(نور) و (طارق) ، والدكتور (حجازى) مع تألق
قبضتى (إفرايم) على نحو يوحى بأنه يستعد لإطلاق

أقوى صاعقة فى تاريخه الدموى القصير ، وهو يصرخ
فى جنون وحشى :

- سنذهب جميعاً إلى الجحيم .. جميعاً .
ولكن فجأة ، ومع آخر حروف صرخته ، وقبل أن
يكتمل دويها تحطمت فجأة فتحة التهوية فى سقف
الحجرة على مسافة خمسة أمتار من (إفرايم) وهبط
منها (أكرم) حاملاً مسدسه التقليدى ..

وبمتهى السرعة والغف ، التفت إليه النوى ..
وبكل غضبه وثورته أطلق صرخة رهبة ..
وأدار قبضته اليمنى نحوه ..

واتطلقت كرة النار ..
وصرخت (سلوى) :
- الآن يا (أكرم) .. الآن ..

ولم يكن جسد (أكرم) قد بلغ الأرض بعد ، عندما
دار حول نفسه ، وأطلق من مسدسه ثلاث رصاصات ،
نحو النوى ..

وفى اللحظة التالية مباشرة ، شعر بالتيران تحرق
ذراعه اليسرى ، قبل أن تواصل الكرة طريقها ، عبر
الممر الطويل ، وتتفجر فى نهايته ..

ومع الانفجار ارتطم (أكرم) بأرضية الحجرة ،
وتدحرج فوقها لحظة ، ثم هب واقفاً على قدميه ، وهو
بصوب مسدسه إلى النوى مرة أخرى ..
وانعقد حاجباه في شدة ..

لقد نجحت (سلوى) في إيقاف عمل الغلاف الواقى
لثانية واحدة ، نجحت رصاصات (أكرم) خلالها في
إصابة (إفرايم) ..

في صدره مباشرة ..

ومع ألمه وذهوله ، اقتلعت الرصاصات جسد (إفرايم) ،
ودفعته أمامها لمتراً واحداً ، فارتطم بجانب مدخل المخبأ ،
وارتد مرة أخرى في علف ، ليسقط على وجهه
أرضاً ..

وانطلقت من خلفه آهة ألم بدت أشبه بصرخة
غاضبية ، وهو يتحسّس الدماء على صدره ،
ويقول :

- مستحيل ! لا يمكنك أن تفعل بي هذا .. مستحيل !

وحدث في وجه (أكرم) لحظة ، قبل أن يطلق قذاة
ضخمة مجنونة ، ويلوح بقيضته ، على الرغم من الدماء
المتدفقة من صدره في غرارة ، ويهتف :

- ولكنك فعلتها يا رجل .. قتلتي .. فعلت ما تصوّرت
أنه مستحيل ! ولكن عزائى الوحيد هو أنني سأحملكم
جميعاً معي إلى الجحيم ، بعد دقيقة واحدة .

قالها ، وقهقه ضاحكاً مرة أخرى ، على نحو
جنونى مخيف ، فانهقد حاجبا (أكرم) في شدة ، وهو
يقول :

- خطأ هذه المرة أيها الوغد .. ستذهب بالفعل إلى
الجحيم ، ولكنك ستذهب وحدك .

وبلا تردد ، ضغط زناد مسدسه مرة أخرى ، وهو
وائق من أن (إفرايم) لن يمكنه إخطئة نفسه بالغلاف
الواقى ، في هذه الظروف ..

وصرخ النوى :

- لا .. لا ..

وامتزجت صرخته بدوى رصاصات (أكرم) ، قبل
أن تخترق رأسه ، من منتصف جبهته تماماً ، وتتقد
من مؤخرة الرأس في علف ..

وتهاوى النوى جثة هامدة ، عند قدمي (أكرم) ،
الذى أغلق عينيه في قوة ، مغفماً :

- رأيت أيها الوغد .. هاتئذ استذهب إلى الجحيم ..
وحدثك ..

وبعد عبارته ، ران على المكان صمت رهيب مهيب ،
إلا من صوت الرياح المحملة بالرمال خارج المرصد
القديم .

وفي قلب الصمت ، كانت أفكار ومشاعر الجميع
تتطلق ..

ربما كانوا يفكرون في كل ما حدث .. كل في
مضماره ..

في الحنف ، والقسوة ، والغموض ..
فيما يثير حيرتهم بشأن (طارق) ، عضو الفريق
الجديد ..

في مصير رئيس الجمهورية ..
ولكن الشيء الوحيد ، الذي جمع بينهم في تلك
اللحظة ، وفي قلب الصمت ، كان خفقات قلوبهم ،
التي تعلن أن الحياة قد انتصرت مرة أخرى ..
وأن العاصفة النووية قد انتهت ..
وإلى الأبد ..

* * *

[تمت بحمد الله]